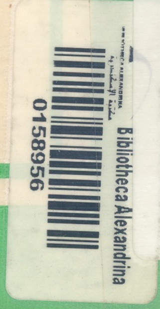
كتب سياسية

مجموعة عربية ١٠٠٪

الكتاب الثامن والسبعون



الجزء الثاني



بقلم : الكاتب الهندي
ر . ك . كارنجيا



الفجر العربي

بقلم : الكاتب الهندى
ر . ك . كارنجيا

الجزء الثاني

ترجمة
حمزة الشيخ
محمد عبد الله الشفقى
وديع روفائيل

٧ ــ مغامرة الغرب فى السويس

تحدث الرئيس عبد الناصر إلى المؤلف فأوجز قصة العدوان الغاشم ، ورده الى نحر الغزاة العادين ، فكان حديث البطل الذى حقق النصر فى السويس حديثا متسما بكبرياء أبى الهول التليد . « لا يساورنى الشك فيما كان الغرب يهدف اليه من سحب عرضه لتمويل السد العالى بأسوان ، فقد كان يرمى الى توجيه ضربة عنيفة الى الكتلة المحايدة ، وزعمائها نهرو وتيتو وعبد الناصر ، لاجتماعهم لتبادل الرأى فى بريونى فى الاسبوع السابق » . ثم استطرد الرئيس قائلا : « اختار الغرب مصر كما اختارنى لتوجيه الضربة الأولى ، ظنا منه أننا أضعف حلقة فى تلك الكتلة ، فلم نملك الا أن نرد عليهم الاعتداء . ولو أنهم أتاحوا لنا فرصا أخرى فسنرد لهم الصاع صاعين مرات ومرات ! »

ويتصل حديث الرئيس عن مزاعم الغرب بأنه كان مثار المتاعب تلو المتاعب ، ولكنه يبادر فيسأل : « ما هى أسباب هذه المتاعب ومصادرها ؟ » ويجيب على السؤال « لقد أرادوا اقتيادنا نحن العرب أمامهم كقطعان الأغنام الوديعة البكماء ، لننضم الى حلف بغداد . لكنى رفضت . وهكذا كنت ، كما أعتقد ، مصدرا لمتاعبهم وآلامهم ! واحتكر الغرب توريد الاسلحة للمنطقة ، واستغلوا نفوذهم لابتزازنا وارهابنا ، فاضطررت لشراء الاسلحة اللازمة لسلامتنا وأمننا من الكتلة الاخرى ، فخلقت بذلك لهم متاعب وأضرارا جديدة ! واحتكروا تجارتنا وضيقوا علينا الخناق حتى أضروا اقتصادنا وطغوا على شخصيتنا ، فقررت أن نتبادل التجارة مع من شاء من الدول الاخرى ،

فتضاعفت الاضرار والمتاعب بسببي ! وحين جمدوا أرصدتنا ، ورفضوا بيع القمح لنا ، لجأنا لروسيا لتزود شعبنا بالخبز . وبهذا أصبحت في نظر الغرب عدوا يلاقون على يديه المتاعب والاضرار . وظل الغرب طوال العام الماضي وما قبله ، مصدرا للعدوان علينا ، ومثارا للمتاعب لنا والاضرار بنا — ولكنا حين نهب للدفاع عن أنفسنا ، يسموننا بتهم بذيئة لا تصدر الا عنهم وعن أمثالهم ... وهذا هو أسلوبهم وتلك هي دعايتهم » .

وتعقب نيويورك تيمز ، أكثر الصحف الامريكيـــة اعتدالا ، على اجتماع بريوني بين تيتو وعبد الناصر ونهرو ، فتقول : « اذا كانت أوجه الشبه متوفرة بين أهداف الهند ويوغوسلافيا ومصر فلا بد أن تهتم بما تعنيه الكلمات نفسها في السياسة الدولية . ولكن العالم الحر ينبغي أن يولى بالاعتبار البلاغ الصادر في بريوني ، رغم اتزان نهرو واعتداله . فلا بد أن نحذر الاجتماعات التي تضم المتناقضات والتي قد تنجم عنها أخطار بعيدة » .

الحيـــاد هو الهدف

وكان ذلك ايذانا بما سيجد من أحداث ، ووجـد الغرب ضرورة الالتحام بتلك القوة الجديدة « الخطيرة » التي تتهدد العالم الحر . وأصبح من المستحيل ترك الحياد ينمو ويزدهر ، بل تحتم توجيـه ضربة حاسمة له في أضعف مراكزه ، حيث يكون اختـلاف الآراء سبيلا لبث الفرقة والعداء . ووجه الغرب ضربته الى مصر ، بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، الذي يعتبر هدفا مناسبا لتلقين الحياديين درسا لا ينسونه . فبادر جون فوستر دالاس برعونته وشراسـته المعروفة الى سحب العرض الامريكي بالمساعدة على اقامة السد العالي بأسوان .

ويحلو لنا في هذا المجال أن نقتبس شيئا من جون بيل ، كاتب

سيرة دالاس ، لنرى كيف كان يفكر ذلك الرجل فى هذه اللحظات ٠ فقد كانت السياسة الامريكية وقتذاك أمام مأزق خطير ، اذ كان يتعين عليها أن تواجه المنافسة الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتى ، وان تتحاشى المساومات مع تلك الدول المستقلة التى قد تتعامل مع الطرفين ٠ ومع أن السياسة الامريكية لم تقرر أى السبل تسلك ، الا أن « عبد الناصر ، الذى كان يتراءى لهم واحدا فى موكب الشيوعيين ، أوشك أن يحصل على عون أمريكا فى مشروع يستنفد منها مبلغا يعادل ما أنفقته فى العالم أجمع عام ١٩٥٦ ، وشرع يكسب تأييد الاصدقاء بل والمحايدين ٠٠٠ وبهذا جعل أمريكا تبدو كدمية يلهو بها ٠ وحين ازدادت شكوك الخارجية الامريكية حول نواياه ، طلبت أمريكا من فرنسا ارسال بعض طائرات المستير التابعة لحلف شمال الاطلنطى الى اسرائيل ، وكان رد عبد الناصر على ذلك سحب اعترافه الدبلوماسى بفورموزا ، واعترافه بالصين ٠ ولم تكن هذه الخطوة ذات هدف اقتصادى أو حافز سياسى من ناحية مصر ، ولذلك فسرها دالاس بأنها لم تتخذ الا للمشاكسة ،واستنتج من ذلك مدى ابتعاد عبد الناصر عن أهدافه الاصلية نحو تعمير بلاده ، واعادة بنائها لصالح الشعب»(١) ٠

وبينما يحار الكثيرون كيف يؤدى الاعتراف بالصين الشعبية الى الابتعاد عن الحرص على رفاهية الشعب المصرى داخل بلاده ، نجد دلاس وقد طار صوابه وفقد وعيه ، وكما يقول بيل « كان دلاس يرى أن الحرب الباردة بلغت أوجها وقتذاك ، فلا مفر أن تشهد لولايات المتحدة ، بالطرق العملية لا النظرية ، الدول التى تبغى الابتعاد عن الاحلاف الغربية العسكرية ، أن صبرها قد نفد ، فلم تعد تحتمل الاهانات والصفعات التى وجهها لها عبد الناصر المرة تلو

---

(١) جون فوستر دالاس : سيرته بقلم جون روبنسون بيل ٠ ص ٢٥٦ ومابعدها

المرة » . ولا بد أن يكون الدرس الذى يتلقاه الحياديون درسا بليغا قاسيا » وقد أتاح لهم عبد النـــاصر الوقت المناسب والمكان الملائم والفرصة السانحة ليشرعوا فى اتخاذ الخطوة الاولى فى الحـــرب الباردة » .

عـــدوان مدبر

وكانت الخطة التى دبرت بها تلك الخطوة ذات أهميـــة قصوى . فقدمت أمريكا عرضها قبل ذلك للمساعدة على انشاء سد أسوان ، وكذلك بريطانيا ، وثارت العقبات فى البداية بين مصر والولايات المتحدة ، ولكنها ذللت ، وقبلت مصر العرض بشروطه . فأعلن أحمد حسين السفير المصرى فى وشنطن ، قبول حكومته للعرض ، بينما أعلن دالاس ، صاحب العرض ، رفضه الحاسم قائلا للسفير « لا » . ورسمت خطوط الاعتداء المدبر كما يلى : « فاما أن تمتد المفاوضات مع السفير وتتعثر لتنتهى الى لا شىء ، واما أن يرفض الطلب رفضا حاسما . ولما كان المقصود من الرد أن يحمل فى طياته شيئا أبعد من رفض العرض ، لذلك لم يكن الرد الادبى اللائق ليصور ما يهدف اليه دلاس من الرفض الذى ينبغى أن يكون حاسما عنيفا حتى يحمل العظة والعبرة للحياديين . وكان هذا القرار فى العرف الدبلوماسى يشبه الى حد كبير المخاطر المدبرة التى أدت الى الحرب فى كوريا وفى فرموزا » (١) .

ولم يكن خفيا ذلك الطابع السياسى الذى اتصم به سحب العرض فى يوليه ١٩٥٦ ، رغم الاسباب الاقتصادية والفنية التى علل بهـــا من الناحية الرسمية . « فلم تكن هذه الا أسبابا دبلوماسية لتغطية الرفض » . كما ذكرت نيويورك تيمز فى ٢٢ يوليه . وكانت هناك فى الولايات المتحدة عوامل أخرى أدت الى الرفض ، منها ما كان يلقاه

(١) جون فوستر دلاس بقلم جون روبنسون بيل ص ٢٦٠

زراع القطن فيها من منافسة خطيرة من القطن المصرى ، قد يؤدى تمويل السد العالى الى زيادتها حدة ، وكانت هناك معارضة عنيفة داخل الكونجرس ضد تمويل السد تتألف من المسئولين الامريكيين الذين يعطفون على اسرائيل ، والجناح اليمينى الذى يضن بأموال العم سام أن تتبدد فى الخارج • ولكن « فضلا عن هذه العوامل السياسية ، كانت بريطانيا وأمريكا ترى أن تقديم العون لحكومة الرئيس عبد الناصر ، يعتبر فى عرف السياسة الدولية — وقتذاك على الاقل — خطأ خطيرا »(١) •

ومن ثم لم يكن مقصودا بالرفض الا أن يكون ضربة موجهة الى مصر بسبب ما تعرض له الغرب على يديها من مهانة واذلال •

وكان الغرب يدبر خططا أبعد مدى ، فاما أن يقبل عبد الناصر ما يمليه الاستعمار عليه من أوامر واما أن يعتزل الحكم • ولكن الغرب لم يكن يعلم أن الامر أبعد من مجرد شعور نحوه • فان السد العالى كانت توضع لبناته فى أذهان الملايين من المصريين كعلاج سحرى عجيب لكثير من أدوائهم الاقتصادية ، فبدونه ينحط مستواهم المعيشى » • ويضيف الى ذلك دانا آدمز شمت ، الصحفى الامريكى : « ان بعض المهندسين المصريين يرون ان تنفيذ السد مسألة حياة أو موت » •

ولم يكن الغرب يتوقع أن تكون الصفعة شديدة قاسية : « ورأى الدبلوماسيون أن رد الفعل ضد قرار الولايات المتحدة لن يكون سيئا الى حد بعيد فى العالمين العربى والاسلامى • بل انهم ظنوا أن دولا كالعراق ولبنان ، وربما المملكة العربية السعودية ، قد تؤيد القرار سرا أو علانية » (٢) •

وحين كان نهرو وعبد الناصر يهبطان الى أرض مصر ، على اثر

(١) نيويورك تيمز ، ٢٢ يولية ١٩٥٦
(٢) نيويورك تيمز ، ٢١ يولية ١٩٥٦

لقائهم مع تيتو فى بريونى ، أذاع صوت أمريكا قرار وزارة الخارجية الامريكية • ولم يكن الزعماء المجتمعون فى بريونى يقصدون ببلاغهم المشترك أن يضمنوا المصالح الاقتصادية للدول الغربية ، مهما أوغلت تلك الدول بوسائلها البربرية فى محاولاتها للتأثير فى الاتجاهات السياسـيـة للدول ، والضغط على حكوماتهـا ، وسحب عروضها لمساعدتها ، واهانة الحياد والمنادين به •

ولقد أثبت عبد الناصر بموقفه من هـذا القرار أن مصر لم تكن أضعف حلقة فى السلسلة بل أقواها وأمتنها ، كما أوضح للعالم مدى الخطأ فى تقـديـر الغرب لأفكاره واتجـاهاته • ولم يسكت عبد الناصر ولكنه كال للغرب الصاع صاعين •

وأعلن الرئيس فى ٢٦ يولية فى اجتماع عام فى الاسكندرية :

« أن مصر ستحصل منذ اليوم أرباح قنـاة السويس التى تبلغ ٣٥ مليونا من الجنيهـات سنويا ، تلك الارباح التى كانت تحصـل عليها شركة قنال السويس • لن نمكن تجار الحروب وتجار الانسانية أن يفرضوا ارادتهم علينا • وسنعتمد كل الاعتماد على أنفسنا ••• وستدر قناة السويس علينا خلال الخمس سنوات التالية ٥٠٠مليون دولار ، نستطيع بها أن نستغنى عن منحة الـ ٧٠ مليون دولار من بريطانيا والولايات المتحدة • وكما نحتفل اليوم بالذكرى السنوية الرابعة لطرد الملك فروق من مصر فى ٢٦ يوليـه ١٩٥٢ ، نحتفل بالغاء شركة قنال السويس الدولية •

ناصر يضرب الضربة المضادة

أذاع راديو القاهرة فى المساء : « تم الاستيلاء على شركة قنال السويس ، بعد أن أصبحت جزءا من الاقتصـاد المصرى المؤمم » • وهكذا اسـتطاعت مصر أن ترد على قرار دلاس بنفس العملة التى لا يفهم دلاس غيرها •

وعقب نهرو على قرار الحكومة المصرية ، فقال فى البرلمان الهندى: « انبعث قرار التـأميم المصرى عن قرار سد أسـوان الذى اتخذته أمريكا وشاركتها فيه فيما بعد بريطانيا • ولقد كان القرار نفسه ، فضلا عن أسلوبه ، مجحفا بمصر ، ومؤذيا لكرامتها ولمشاعر شعبها» •

ولقد كان تأميم القناة مفاجأة تامة للغـــرب ، فلم يكن أحد فى وزارة الخارجية الامريكية ولا وزارة الخارجية البريطانية يتوقع هذه الخطوة ، قبل سحب عرض المعونة • وهكذا استطاع عبد الناصر ان يوجه للغرب ضربة قاسية ، دون أن يترك للغرب ثغرة قانونية أو منطقية ينفذ منها للانتقام منه • وفى الحق ان عبد النـــاصر فاق الغرب بقدرته وخبرته وفطنته •

تأييد العـــالم لمصر

وعلقت الصحف الامريكية نفسها على الخطوة التى اتخذها عبد الناصر فلاحظت ما أثاره قرار التأميم فى العالم العربى من حماســة وعاطفة ، وما شهدته عواصمه المختلفة من اضرابات ومظاهرات تعلن أن « عبد الناصر يهزم الغرب » •

وأعلن رئيس الوزراء السورى فى ٢٩ يوليه أن سورية تؤيد مصر تأييدا كاملا ، وتدافع عنها ضد العدوان بكل الوســائل • ورحب البرلمان اللبنانى بالقرار المصرى وأعلن تأييده الكامل له • وأكدت المملكة العربية السعودية وقوفها الى جانب مصر • وأيد العـــراق نفسه القرار المصرى •

أما فى الهند ، فقد أعلن نهرو أن : « القناة جزء لا يتجزأ من مصر ، وسيادة مصر عليها ليست موضعا للشك » • وصرح شو ان لاى بتأييده لمصر ، وهدد الغرب بقيام الشعوب الاسيوية جميعا لنجدة مصر » اذا حاول الاعتداء الحربى عليها • كما أعلن خروشـــوف من موسكو فى ٣١ يوليه قانونية القرار الذى اتخذته مصر وتأييده له •

ولم يكن تأميم مصر للقناة تملكا لها حتى يبرر الغرب اتخاذ اجراء ضدها • فتنص المادة الاولى من قانون تأميم شركة القنال على «تعويض أصحاب الاسهم والحصص ، وفقا لقيمة الاسهم فى بورصة باريس فى اليوم السابق على تنفيذ هذا القانون » • وكانت شركة قنال السويس تابعة لبورصة مشتركة تشرف الحكومة عليها اشرافا قانونيا تاما ، ومن ثم لم يكن للغرب سوى حق التعويض •

الغرب يفقد صوابه

بلغ دخل القناة عام ١٩٥٥ حوالى ٣٤ مليون جنيها استرلينيا ، أنفق منها على ادارة القناة ٩ ملايين ، كما خصص مليون للنفقات الادارية فى باريس حيث كانت الادارة الرئيسية للشركة • ولم تحصل مصر الا على مليون واحد ، بينما ذهب الباقى الى جيوب أصحاب الاسهم • وهكذا يمكن أن يقال ان الغرب فقد احدى مؤسساته الاقتصادية الكبرى فى الاقطار المتخلفة •

وكان الغرب يهتم بالاشراف على شركة قنال السويس فى منطقة تتزايد فيها المقاومة ضد الاستعمار يوما بعد يوم • واذا كان عبد الناصر قد فعل ذلك فى قنال السويس فسيتبعه غيره فى حقول الزيت، التى تعتمد عليها لندن فى رفاهيتها واقتصادها • وفضلا عن ذلك فالقناة تختصر المسافة بين لندن وبومباى من ١٢٣٧٤ الى ٧١١٧ ميلا• وهكذا لم يؤد سحب العرض الى تعزيز حياد مصر فحسب ، بل الى نشره فى المنطقة جميعها ، ولم يقف الغرب أمام التأميم مكتوفا ، ولكنه حاول الاحتفاظ ببعض ماله فى أعين العرب من منزلة ومكانة • وأعلن دلاس « أن استيلاء مصر على قنال السويس يعد ضربة مريرة للثقة بين الدول » • كما أعلن ايدن ضرورة تدويل القناة • وصرح جى موليه ، رئيس الوزراء الفرنسى ، بأن حكومته ستتخذ عملا حاسما لوقف ما اتخذته مصر من اجراءات •

واستخدمت بريطانيا وفرنسا وغيرها العقوبات الاقتصادية فى

انتقامها · فأنكروا حق مصر في العملة الاسترلينية، وجمدت أرصدتها التي تبلغ ١١٠ مليونا من الجنيهات · وفي ٢٩ يوليه فرضت فرنسا هي الاخرى على مصر عقوبات اقتصادية ·

بيد أن عبد الناصر لم يخضع للتهديد والارهاب · وأعلن للجماهير الصاخبة في القاهرة في ٢٨ يوليه « سنقاوم القوة بالقوة ، والعدوان بالعدوان ، والاساءة بالاساءة · اننا على استعداد لكل ما يجد من أحداث » ·

المؤامرة ضـــد ناصر

حاول الغرب تغطية الخطة التي يدبرها من أجل العدوان على مصر، فدعا الى عقد مؤتمر من أربع وعشرين دولة في لندن · وكان الغرب يهدف من ذلك الى الحصول على المزيد من تأييد العالم للاعتداء الذي يدبره ضد مصر وضد عبد الناصر ، الذي أصبح وقتذاك رمزا للحياد العربي وشعارا للبعث في العالم العربي · وقد صرح ايدن في حديث أذاعه في ٨ أغسطس « ان نزاعنا ليس مع مصر ، ولا مع العـــالم العربي ، ولكنه مع عبد الناصر » ·

وتعذر على عبد الناصر بعد هذه العداوة السافرة أن يحضر الى لندن ليشهد المؤتمر الذي يبحث شئون قنال السويس · وقـــرر الرئيس في هدوء : لقد كنت على أهبة السفر الى لندن ، بل لقـد شرعنا في تدبير أمورنا · ولكن ··· السير أنتوني ايدن قال في لندن « اننا لا نثق في عبد الناصر » ، ومن ثم تعذر علينا أن نذهب الى لندن » · ورفض الرئيس كذلك رفضا قاطعا الاقتراح الذي تقدم به دلاس قبل ذلك بتدويل القنال ، نظرا لما رآه فيه من افتئات على السيادة المصرية ·

ولم يعد خافيا ، بعد افتتاح مؤتمر لندن في ١٦ أغسطس ، أن

هدفه لم يكن تيسير المفاوضات ، وانما وضع الشروط المجحفة التى لا يمكن أن تقبلها مصر • ولقد كان رد الفعل عنيفا فى العالم العربى، فجاء فى المجلة الاسيوية ، « احتج العالم العربى بأسره ضد مؤتمر لندن ، فأضربت جميع الدول اضرابا عاما لمدة يوم كامل لتظهر مدى تأييد العالم العربى لمصر ، من ليبيا الى سـورية ، فأغلقت المحلات التجارية ، ودور الاعمال وخلت الاسواق ، وتعطلت الاعمال » •

وتبين للغرب أثناء المؤتمر أن مصر تنال تأييد بعض الدول • ولم تحاول الولايات المتحدة نفسها صاحبة القرار الذى سحب عرض المعونة لانشاء السد ، أن تذهب فى عدائها لمصر الى آخر الشوط ، فحاولت من خلال الازمة الخانقة أن تكسب ود العـرب ، عن طريق ارضاء مشاعر الكراهية لديهم ضد الانجليز والفرنسيين • ولقـد ظل الدور الذى لعبته أمريكا فى أزمة السويس لغزا غامضـا أمام الكثيرين حتى أوائل ١٩٥٧ ، حين قدمت مشروعها للشرق الاوسط، ذلك المشروع الذى سنتناوله بالنقد فى الفصل التالى من الكتاب •

الهند وموقفها الحازم

وقفت الهند تؤيد موقف مصر فى ثبـات وحزم ، وتدافع عن حقوقها • وأكد كريشنا منون « أن حل المشاكل الدولية يتعذر عن طريق فرض حكومة بعينها أو دستور بعينه فى بلد آخر » • وأيدت اندونيسيا المشروع الهندى الذى يعترف بسيادة مصر ويعـارض تدويل القنال ، كما وقفت سيلان هى الاخرى الى جانب زميلاتها فى باندونج • أما الاتحاد السوفييتى فقد أعلن فى وضوح وجلاء : « أن قنال السويس ملك لمصر دون منازع ••• وان انشاء هيئة دوليـة يعنى بعث شركة قنال السويس تحت اسم جـديد » • ولم يحظ مشروع دلاس بالاجماع فقد عارضته الهند واندونيسيا وسـيلان والاتحاد السوفييتى • ولم يوافق عليه من الدول الافرو آسيوية غير

الدول الضالعة مع الغرب ، والتى أيدت اقتراح ارسال بعثة منزيس الى القاهرة ، وهى ايران وباكستان واليابان واثيوبيا وتركيا ٠

ماذا كان الهدف من بعثة منزيس ؟ بالطبع لم يكن القصد اجرا المباحثات ، وانما لتنقل لمصر أن الغرب لا يمكن أن يقبل التأميم ، والا سبيل الى السلام الا بالتخلى عن حقوق مصر فى السيادة ٠ فلم تكن البعثة سوى مظاهرة ارهابية ، لا محاولة سلمية لتسوية النزاع ، فبينما كان منزيس فى طريقه الى القاهرة ، كانت تنقلات القوات العسكرية والمعدات الحربية على قدم وساق ٠ وفى ١٤ أغسطس ، أى قبل انعقاد مؤتمر لندن بيومين اثنين ، كانت حاملات الطائرات تتجه الى الموانى فى مالطه وقبرص ، وطالب حزب العمال ، الذى أزعجته هذه الاستعدادات ، الحكومة ألا تتخذ من مشكلة السويس عذرا لاشعال الحرب ٠

ولم يكن متوقعا ازاء هذه الاوضاع والتصرفات ، أن تتصل الحكومة المصرية ببعثة منزيس : بيد أن كياسة عبد الناصر وفطنته فاقت كل حد ، فلم يشأ أن يثير أحدا ، حتى يأمن الزلل ٠ فبعث برسالة غاية فى الاعتدال الى منزيس، تعلن استعداد مصر للمباحثات، وموافقتها على بعض المبادىء التى رأتها الدول الثمانية عشر ، وتصميمها على المحافظة على حرية الملاحة الدولية فى القنال ،ورغبتها فى الانتفاع بمعلومات الخبراء الفنيين من شتى أنحاء العالم ٠ ولكن الرسالة سجلت فى نفس الوقت أن « النظام الذى اقترحوه ، نظام تراه مصر مجحفا بحقوقها وسيادة شعبها ، مما يتعذر معه التعاون»٠

الدبلوماسية الارهابية

كان فشل بعثة منزيس فى اخضاع مصر ، مشارا للخطوة التالية فى استعدادات الغرب لارتكاب حماقتهم الدامية : فأنشأوا جمعية المنتفعين بالقناة ، وسحبوا المرشدين ليظهروا عجز مصر عن ادارة

القناة ادارة حسنة ، وكادت جمعية المنتفعين بالقناة أن تكون هيئة لمنافسة الحكومة المصرية في ادارة القناة : فهى ، كما زعم ايدن ، « تستخدم المرشدين ، وتنظم الحركة خلال القناة ، وتجمع رسوم العبور ، وتعطى مصر نصيبا مناسبا » .

وبلغت تلك الخطة غايتها من الحماقة ، حتى ان نهرو صرح فى البرلمان الهندى غداة اعلانها « أن الخطة المقترحة ... تبدو ، على أقل وصف ، غريبة وقد تتمخض عن آثار خطيرة ... وتأسف الحكومة الهندية أشد الاسف لهذه الخطة الشاذة ، التى ستضع العراقيل فى سبيل التسوية السلمية ، بل انها لا تهدف الى تأمين المنتفعين لاستعمال القناة استعمالا سلميا ، ذلك الهدف الذى ينبغى أن ينشده المنتفعون ، ويتغياه المجتمع الدولى » .

وفى ١٧ سبتمبر أعلن بوبوفيك ، بالنيابة عن يوغوسلافيا ، ورسلان عبد الغنى ، عن اندونيسيا ، فى بيان مشترك معارضتهما لانشاء جمعية المنتفعين بالقناة . وأصدر الاتحاد السوفييتى فى١٥ سبتمبر بيانا شديد اللهجة : « تعتبر هذه الخطوة فى الدوائر الدولية تحديا خطيرا ، يؤدى الى زيادة توتر الموقف الناجم حول القناة ، والى اصطناع الوسائل لخلق أحداث تؤدى الى خلق المعاذير لاستخدام القوة ضد مصر » . وأضاف البيان أن أى تهديد للسلام فى غرب آسيا يعرض للخطر «مصالح الاتحاد السوفييتى وسيادته» .
وقال الرئيس عبد الناصر فى حديث له فى القاهرة فى ١٦ سبتمبر : « لن تسمح لجمعية المنتفعين بمزاولة عملها فى القناة . وسنديرها نحن المصريون بقدرة وكفاية . فاذا أصرت الجمعية ،رغم ذلك ، على مسلكها ، فلن يكون ذلك الا عدوانا علينا وسنقابله بالمثل » .

ولم تبد أهمية القرار الاول الذى اتخذه الغرب بتكوين جمعية المنتفعين ، الا حين اتخذ قراره الثانى بسحب مرشديه من قنال

السويس • فلو أن عبد الناصر فشل فى ادارة القنـــاة ، اذا لحق للجمعية أن تسلك سبيلها بالقوة خـلال القناة رغم مصر • وهكذا كان الغرب ينادى بحرية الملاحة فى القتـال ، ومع ذلك سعى حثيثا لكى يغلقها لفترة محدودة • فأوعزوا للمرشدين الاوربيين بالانسحاب• ولقد أصاب عبد الناصر حين ذكر لى أن « كل ذلك يثبت أننا كافحنا لتظل القناة مفتوحة ، بينما أرادوا عكس ذلك ، حتى تم اغلاقها فى النهاية » •

وعلق انورين بيفان على هذه الاستراتيجية الغادرة فقال : « انهم يرومون نقل الجدل الى مرحلة الصراع المادى » • وعلقت نيوستيتسمان بأن عزم الانجليز والفرنسيين لم يتغير « تغييرا كبيرا منذ اعترض الرأى العام العالمى على غزو مصر منذ ستة أسابيع مضت ••• ولا بد أن تستند الاستراتيجية الانجلو — فرنسية على عمل خطير عنيف ترتكبه مصر ، حتى يؤدى الى الحرب • ولم يقع هذا التحدى الا من الغرب ، حين دعا مرشـــديه لترك الشركة المؤممة ، وأعلن الحاقهم بجمعية المنتفعين ليديروا القناة دون اشتراك مصر فى الادارة »

ومرة أخرى ، دبر الغرب فأساء التدبير ، وأخفق بسبب اهمـاله فى مراعاة العناصر الجديدة التى تؤثر فى العالم اليوم • وظلت القناة تسير بانتظام بفضل المرشدين من شتى البلدان ، وعلى الأخص من روسيا • واعترفت المصادر البريطانية بالكفاية التى أديرت بهـــا القناة ، وصدرت الاوامر للبواخر الامريكية بدفع الرسوم لمصر • وهكذا أخفق سعيهم وفشلت محاولاتهم •

وبذلت المحاولات ابان ذلك لكى تصدر هيئة الامم قرارا بادانة مصر فى موقفها : ولكن الاحداث كانت على غير ما تشتهى بريطانيا وفرنسا • فألحت هيئة الامم على ضرورة اجراء تســوية عن طريق المباحثات • ووافق الغرب على المبادىء الستة كأساس للمباحثات • وأصدر مجلس الامن قرارا فى ١٦ اكتابر يفصل هذه المبادىء :

١ - تكون الملاحة خلال القناة حرةمطلقة من كل قيد، دون تمييز مباشر أو غير مباشر - ويشمل ذلك النواحي السياسية والفنية ٠

٢ - تكون السيادة المصرية موضع الاحترام ٠

٣ - تنفصل عملية ادارة القناة عن سياسة الدول ٠

٤ - تتقرر طريقة تحديد الرسوم والمصاريف بالاتفاق بين مصر والمنتفعين ٠

٥ - ينبغي تخصيص حصة معقولة من الرسوم لتحسين القناة ٠

٦ - في حالة حدوث خلاف ، تسوى المشاكل التي لم تحسم بين شركة قنال السويس والحكومة المصرية بطريقة التحكيم ٠

وكان الاتفاق على هذه المبادىء خدعة كبرى ، فقد أرادت الدول الاستعمارية ، بعد أن طاشت خططها السالفة جميعا ، أن تستغل « سلاحها السرى » ، اسرائيل ، ليعينها على اشعال حرب في السويس ، تؤدى الى هدفهم المنشود من اسقاط الحكومة المصرية ، فقد يئس الغرب من محاولة اثارة مصر لكي ترتكب احدى الحماقات، كما ازداد العطف يوما بعد يوم عليها ، وحاز الرئيس عبد الناصر اعجاب العالم ببعد نظره وكياسته ورجاحة تفكيره ٠

وهكذا شرع الغرب يستعد ، ليبحث عن عذر ، من جانب آخر ٠

وبينما كان مجلس الامن يصوت على المبادىء الستة ، كان الانجليز والفرنسيون قد رسموا الخطوط الاخيرة في مشروعهم ، وتولى ايدن ولويد وموليه وبينو وضع التفاصيل ٠ وفي ٢٩ اكتوبر غزت اسرائيل الاراضي المصرية دون انذار ، وفي ٣٠ منه أنذرت بريطانيا وفرنسا مصر بسحب قواتها مسافة عشرة أميال غرب قنال السويس ٠ وكان ذلك انذارا عجيبا ، يطلب من دولة ذات سيادة سحب قواتها

١٠٠ ميل من حدودها . وقد رفض الرئيس عبد الناصر هذا الانذار في الحال ، ووسمه بالعدوان . وبدء غزو السويس فى ٣١ اكتوبر ، وتوالت الهجمات الوحشية والمذابح الدموية على مصر للاستيلاء على بورسعيد وقلب نظام الحكم فى مصر .

ولكن بورسعيد أبت التسليم ، وحاربت حربا مجيدة ضدالعادين المستعمرين . وظل الحكم المصرى قائما ، وفشل العدوان الانجليزى الفرنسى . وهدد الاتحاد السوفييتى فى ٥ نوفمبر باستخدام القوة لاعادة السلام للمنطقة . وفى نفس اليوم قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ارسال قوة دولية تابعة للامم المتحدة الى المنطقة . وفى ١ نوفمبر اتخذت أمريكا قرارا بوقف اطلاق النار . وفى ٣ نوفمبر اتخذت تسعة عشر دولة أفروآسيوية قرارا بوقف اطلاق النار وسحب جميع القوات الاجنبية من مصر .

الانسحاب وآثاره

وقد تجلى الرأى العام العالمى بصورة رائعة ، حين تمت الموافقة على القرار الافروآسيوى رغم المعارضة الانجلو فرنسية . وأيدت الجمعية فى ٢٤ نوفمبر قرارا آخر افروآسيوى لابداء القلق لتلكؤ الغرب فى سحب قواته المعتدية . ولكن القوات الانجلو فرنسية شرعت تنسحب ابتداء من ٣ ديسمبر ، بعد مماطلات طويلة ، كما أنسحبت القوات الإسرائيلية أمام ضغط الرأى العام العالمى . وفى ٩ ينأير قدم ايدن استقالته « لأسباب صحية » وكان بذلك أولى ضحايا العدوان . وينبغى أن نلاحظ الآثار السياسية التى تمخض عنها العدوان رغم فشله .

وفى مقدمة تلك الآثار أن الدول الغربية فقدت ما بقى لها من سمعة فى العالم العربى أجمع ، حتى لقد أصبح من المتعذر تسوية

النزاع العربي تسوية سلمية عن طريق المباحثات . وما زالت هذه النتيجة هي الأثر البارز الذى خلفه العدوان .

وكان الاثر الثاني للعدوان أن الشعوب العربية أصبحت تلهج بالثناء على الاتحاد السوفيتي الذى كان وقف اطلاق النيران فى ٦ نوفمبر نتيجة لمذكرته التى وجهها لبريطانيا وفرنسا ، فى قالب الانذار . فقد سأل بولجانين ، فى مذكرته لرئيس الوزراء الفرنسى : « ماذا يكون موقف فرنسا ، لو أنها هوجمت من دول أخرى لديها وسائل التدمير الحديثة الرهيبة ؟ » . كما أعلن أنهم « مصممون على سحق المعتدين بالقوة ، واعادة السلام الى الشرق » . ولم يمض على الانذار سوى ٢٤ ساعة ، حتى توقفت الحرب الوحشية ، فكان لذلك أثر كبير سيمتد اجيالا طويلة فى نفوس العرب ، وفى قلوب عامتهم بوجه خاص .

وثالثا — هبت دول مؤتمر باندونج ، فيما عدا بعض صنائع الاستعمار كباكستان ، تعارض خطط الغرب ، فأثبتت مرة أخرى تماسكها ووحدتها .

وأثبتت الاحداث ، لا الكلمات وحدها ، أن للعرب أن يعتمدوا على آسيا وافريقيا جميعا اذا حاول أحد الاضرار بمصالحهم الحيوية ، واجتمعت دول كولومبو فى نيودلهى فى منتصف نوفمبر ، وأجمعت على تأييد حقوق مصر . وعبر نهرو عن مشاعر بلاده بكلمات قوية صريحة ، كما التقت جميع الآراء فى الهند حول استنكار الجريمة البشعة التى فاقت كل ما ارتكبه هتلر من جرائم وآثام . وهكذا انتصرت الروح التى أشاعها مؤتمر باندونج فى الدول الافروآسيوية

أما الاثر الرابع للعدوان فكان الشعور بالوحدة شعورا راسخا فى أذهان العرب الذين اجتمعت قلوبهم على السخط على الغرب . حتى ان العراق نفسها أزمعت أن تقطع صلاتها ببريطانيا الى أن توقف عدوانها . وقطعت البلاد العربية الاخرى علاقاتها الدبلوماسية

ببريطانيا وفرنسا ، ودمرت أنابيب البترول فى سورية والمملكة العربية السعودية ، فقد اشتعل العالم العربى بأسره ، قبل أن تلتهم النيران بتروله ٠

وأخيرا ، استطاعت الدول الصغرى لاول مرة ، أن تثبت فى هيئة الامم أن الدول الكبرى ليست حرة طليقة ، تفعل بها ما تشاء دون رقيب أو حسيب ٠

ولم تؤد مغامرة السويس الى سقوط عبد الناصر ، وانما أدت الى انهيار ايدن ، الذى استقال بعد أن تداعى أمام الرأى العام البريطانى الذى تبين فى المغامرة الغدر وسوء التدبير ٠

وفقد الانجليز بفشلهم فى المغامرة كل ما لهم من نفوذ سياسى فى العالم العربى ، وفضلا عن ذلك عمت البلاد العربية الحركات التحررية من الجزائر حتى العراق ، وسارعت هيئة الامم باتخاذ اجراءاتها وقتذاك ، فأمرت بوقف اطلاق النيران ، ثم ألحت حتى تم سحب القوات المعتدية ، ورأت الدول العربية أمام أعينها الاسد البريطانى الهصور يطوى ذيله بين أقدامه ذليلا ، فى كفاح مع دولة صغيرة كمصر ، مما بعث الثقة فى سائر البلاد العربية الصغيرة ٠

وازدادت الهيبة والثقة التى يتمتع بها عبد الناصر ، وآمنت الدول العربية جميعا أن مصيرهم مرتبط ارتباطا وثيقا بمصر ، وعمت الروح التى أشاعها مؤتمر باندونج آسيا الغربية باسرها ، وصمم العرب ألا ينحازوا الى أعدائهم ٠

ويطيب لنا أن نختتم هذا الباب كما افتتحناه مقتبسين ، من حديث للرئيس جمال عبد الناصر مع المؤلف ، قوله : « ها هنا انتصرت روح باندونج نصرا مجيدا ، وفازت الشعوب الاسيوية الافريقية بوحدتها التى صهرتها نيران المأساة المشتركة ، التى نشكرها على ما أتاحت لنا من نصر ضد قوى الاستعمار والصهيونية »٠

مبدأ ايزنهاور .. وسياسة القوة

فشلت انجلترا وفرنسا واسرائيل فى حملة السويس ، وأخذ العرب يثقون في قوتهم وفى مصيرهم . ورأى الغرب بأكمله أن هذه الحقيقة تهددها تهديد خطير . لقد ضاعت هيبة بريطانيا وفرنسا فى مجزرة بور سعيد . وتدهور نفوذهما فى جميع أرجاء الشرق العربى وأكثر من هذا لمس الغرب انطلاق قوى جديدة لا يحتملها ، وقد فاجأته هذه القوى على حين غرة ، ولم يكن يتنبأ بظهورها .

ولا شك أن هيبة الامريكيين ازدادت بعض الشىء ازاء الدوز الذى لعبوه في حرب السويس ، غير أن الروس كسبوا فى هذه الحرب شيئا أكثر من هذا ، اذ أنهم كسبوا الثقة والاعتراف بالجميل . وكان الاختبار الحقيقى الذى يستطيع العرب به أن يتعرفوا على نيات أمريكا هو موقف الامريكيين من المشاكل الاجمالية التى تواجه الشعوب العربية ، اذ لا يكفى أن يحكم العرب على أمريكا من مجرد موقفها حين وقعوا هم فريسة لغزو وحشى ينتهك أراضيهم ، وانما يريد العرب أن يتعرفوا على وجهة نظر أمريكا ازاء كفاحهم ضد القيد الدائم الذى وضعته دول الغرب فى أيديهم . وكان هذا الكفاح ، وذاك الاختبار يمسان مصالح أمريكا . فلقد كانت هناك اسرائيل ، طفل أمريكا المتعب ، والتى احتلت أرض فلسطين ، وهو أمر لا يستطيع العرب نسيانه أو احتماله ، وكانت هناك ، الى جانب هذا كله ، احتكارات البترول الضخمة التى صار فى مقدورها أن ترسم خطوط السياسة الامريكية فى وزارة الخارجية ، وأن تعدل من هذه الخطوط .

والواقع أن موقف أمريكا ساند اسرائيل مساندة أدبية كبرى فى

تصرفها مع مصر ، وردت اسرائيل هذا الجميل حين أعلنت حكومتها عن تضامنها مع مبدأ دالاس ـ أيزنهاور ، وهكذا وضعت أراضيها تحت تصرف القوات الامريكية المسلحة » ، هذا ما قاله ك ٠ ايفانوف الذى اشتهر بالمامه بمشاكل غربى آسيا ٠ ويستطرد ايفانوف قائلا :

« ان موافقة اسرائيل على مبدأ أيزنهاور يعتبر دليلا واضحا على أن هذا البلد وقف الى جانب التوسع والاستعمار ضد أمم الشرق » (١)

بل ان موقف الولايات المتحدة ـ حين بلغت أزمة السويس ذروتها ـ خلق شعورا بالحيرة ٠ ولقد كشف أحد كبار ضباط المخابرات العسكرية السورية عن بعض الحقائق الهامة المؤلف هذا الكتاب ٠ فهناك وثائق تثبت أن بعض الجماعات الامريكية القوية كانت تبحث محمومة عن ذريعة تتذرع بها لارسال قوات أمريكية الى مصر ، ولو لم تخسر بريطانيا وفرنسا واسرائيل هذه الحرب لتدفق الامريكيون ليأخذوا نصيبهم من أسلاب الاستعماريين والصهيونيين، بل ويقال أن الطرادة « سالم » ، التابعة للاسطول السادس الامريكى دخلت مياه مصر الاقليمية والحرب على أشدها وبها بحارة وفدائيون على أهبة الاستعداد ٠ وحدث أن اتصل ممثل القائد براون (فى الاسطول الامريكى) بحاكم غزة ، وطلب منه السماح للامريكيين « باحتلال غزة لانقاذها من الاسرائيليين » وعرض هذا الطلب على جمال عبد الناصر فى القاهرة ، وكان أن رفضه برمته ، وفشل العدوان الثلاثى فى حرب السويس ، وتدخل السوفييت ، وكانت النتيجة أن تخلى الامريكيون عن سياستهم التى تقول « انتظر وارقب ما سيحدث » ٠

ومما هو معروف أن الدوائر القوية فى الولايات المتحدة وافقت على خطة المعتدين ـ على شريطة أن تنتهى الحرب نهاية ناجحة (من وجهة نظر الغرب) ٠ والدليل على هذه الموافقة أن حكومة الولايات

---

(١) ك ٠ ايفانوف مجلة المسالةالدولية (موسكو) ديسمبر ١٩٥٧

المتحدة أكدت لرئيس وزراء اسرائيل ، بن جوريون ، أن قطاع غزة لن يعود الى مصر • وحدث بعد ذلك أن أماط بن جوريون اللثام عن خطة وضعها دالاس ، وأذاع هذه الخطة فى مجلس الوزراء الاسرائيلى ، وهى تقضى بأن تسيطر الامم المتحدة على قطاع غزة تمهيدا لاعطائه لقوات الاحتلال الاسرائيلى بعد ذلك • ومهما يكن الامر ، فاننا نشك فى أن تقدم اسرائيل على خوض معركة السويس ، دون أن تبارك العناصر الموالية للصهيونية فى واشنطن هذه الخطة بطريقة ضمنية ان لم يكن بطريقة سافرة • ان تاريخ المؤامرات التى دبرها الصهيونيون مع المستعمرين ضد الشعوب العربية يثبت هذه الحقيقة ولا يكذبها (١) •

ونجد لزاما علينا أن ندرس مشكلة الغرب على ضوء احتياجه للبترول ، هذا اذا ما أردنا أن نفهم الخطوة التالية التى أقدمت عليها الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الاوسط فى صورة اعلان — من جانب واحد — عن المقاومة المسلحة لأى « عدوان شيوعى » ويعرف هذا الاعلان الذى جاء عن جانب واحد باسم : مبدأ ايزنهاور

سبق أن نشرت صحيفة النيويورك تايمز الامريكية دراسة خاصة عن الشرق الاوسط ، وكتب «هانسن بلدوين» فى ذلك العدد يقول :

تكفى كلمة واحدة لتلخيص الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط ، هذه الكلمة هى : « **البترول** » • لقد كانت دول الغرب تسيطر سيطرة تامة على تلك المستودعات البترولية الموجودة بمنطقة الشرق الاوسط والتى يتألف منها ثلثا البترول الموجود فى العالم • وكانت هذه المنطقة أكبر مصدر للبترول واعتمدت عليها أوروبا الغربية لاستيراد ٩٠ فى المائة مما تحتاجه من البترول • وأرادت الولايات المتحدة الاحتفاظ بما لديها من مستودعات البترول

---

(١) « خنجر اسرائيل » بقلم ر • كرانجيا

ومن ثم أخذت تستورد هذه المادة من غربى آسيا · لقد اهتم الغرب بهذا البترول نتيجة لاعتماده عليه ، وبالاضافة الى هذا اهتم به لأنه من أنجح الاستثمارات التى استغلها أصحاب الاعمال الكبرى فى الخارج ، فالارباح خيالية ، وتكاليف الانتاج زهيدة ، والمزايا الاخرى عديدة ·

وكانت صناعة تكرير البترول مهنة رابحة ، شأنها فى ذلك شأن صناعة استخراج البترول · وأصبحت صناعات البترول فى غربى آسيا جزء لا يتجزأ من اقتصاديات الغرب ، وأخذ الغرب يدفع الرسوم للملوك والامراء الاقطاعيين والباشوات الذين كانوا يحكمون هذه الاراضى الغنية بالبترول ، وبهذه الوسيلة سيطر الغرب على المصدر الوحيد البالغ الاهمية فى المنطقة ، وأتاحت لهم هذه الظروف توجيه سياسة الحكام المحليين ·

لقد اهتمت الدول الغربية والولايات المتحدة بهذا البترول لدرجة أننا نستطيع أن نوجز فنقول أن التاريخ المعاصر للشرق العربى هو **تاريخ المنافسات التى قامت بين المستعمرين للسيطرة على البترول ·** كانت مصالح البترول تنتقل من ملكية دولة الى ملكية دولة أخرى ، وكان هذا الاجراء يعكس الى حد كبير تغير وضع دولة استعمارية بالنسبة لوضع دولة استعمارية أخرى ·

« الولايات المتحدة ونصيب الأسد »

وهكذ بذلت الولايات المتحدة جهودها لتحصل على أكبر قسط ممكن من امتيازات البترول ، وذلك فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وكانت قبل هذه الحرب شريكا صغيرا فى ميدان البترول · ومرت أعوام والمنافسة على أشدها ، وفى عام ١٩٥٧ لخص المراسل الأمريكى ج· هـ· كارميكال هذا الموقف بقوله :

« مر ما يقرب من نصف قرن من المؤامرات والاحتيال ، انتقلت فيها امتيازات البترول بالشرق الأوسط من يد طائفة الى يد طائفة أخرى ، واليوم تملك الشركات الأمريكية ٥٥ فى المائة من مستودعات هـذا البترول ، بينما بلغ نصيب الشركات البريطانية ٣٥ فى المـائة ، وتملك فرنسا وهولندا الجزء الباقى (١٠ فى المائة) »

ويجدر بنا أن نورد بعض التفاصيل الخاصة بنصيب كل دولة فى ميدان السيطرة على البترول ٠ فنصيب بريطانيا من بترول ايران يصل الى ٤٠ فى المائة ، وكذلك الولايات المتحدة ، أما نصيب هولندا فيبلغ ١٤ فى المائة ولا يتعدى نصيب فرنسا ٦ فى المائة ، أما قبل عام ١٩٥١ ـ عندما حاول مصدق تأميم صناعات البترول فى ايران ـ فان بريطانيا هى التى كانت تتمتع بأكبر قسط من هذا البترول ٠ وفى العراق تساوت أنصبة الدول الأربع من البترول ، اذ بلغ نصيب كل منها ٢٣ وثلاثة أرباع فى المائة ، أما الـ ٥ فى المائة الباقية فكانت فى يد شركة جلبنكاين ٠

وتتمتع أمريكا بكامل امتيازات البترول الموجود بالسعوديةالعربية اذ تملك شركة ستاندرد أويل بنيو جرسى ٣٠ فى المائة من أسهم شركة البترول العربية الأمريكية ، وتملك كل من شركة تكساس وستاندرد أويل بكاليفورنيا نصيبا مماثلا ٠ هذا بينما يخص شركة سوكونى موبيل الـ ١٠ فى المائة الباقية ٠ ومن ناحية أخرى نجد أن بترول الكويت يخضع لبريطانيا ، وهناك ترتفع نسبة الانتاج بحيث تبلغ ١٢٠٠ر٠٠٠ برميل يوميا ٠ وتخضع امتيازات قطر لما تخضع له امتيازات العراق ٠ وتتمتع الولايات المتحدة بامتيازات البترول الذى تملكه البحرين ـ وتنعم بهذه الامتيازات شركة ستاندرد أويل بكاليفورنيا وشركة تكساس ٠

وبالرغم من أن الشركات الأمريكية تتمتع بنصيب الأسد من البترول ، الا أن حمى المنافسة لم تخمد على الاطلاق وكثيرا ما شنت

الصحافة البريطانية والفرنسية هجومها على شركة أرامكو بالسعودية العربية واتهمتها بأنها تحتال على بريطانيا وفرنسا لابعادهما عن المحميات الغنية بالبترول فى شبه الجزيرة العربية ، بل وفى الصحراء النائية نفسها • ونحن نجد أن مشاكل بريطانيا الاستعمارية - فى علاقاتها بالملك سعود - كانت تبرز داخل أطار المعارك والمنافسات التى تدور بسبب البترول •

واذا وضعنا مسألة البترول جانبا ، وجدنا أن هناك - كما يشير ك • ايفانوف - عوامل أخرى تثير الغرب وتتحكم فى تحركاته المستمرة فى تلك المنطقة • يقول ك• ايفانوف فى مجلة « المسائل الدولية » (موسكو ، ديسمبر ١٩٥٧) :

يرى المستعمرون أن هذه المنطقة - من الوجهة العسكرية - قلعة استراتيجية تصلح للصمود أمام البلدان الاشتراكية فى أوربا ، وحركات التحرير الوطنى فى قارتى آسيا وافريقية •

كما أن مصير الاستعمار يتوقف الى حد كبير على منطقة الشرق الأوسط • فلقد انهارت الامبراطورية الاستعمارية فى قارة آسيا ، وبهذا بقيت افريقية القاعدة الرئيسية التى يستند اليها الاستعمار • وينطبق هذا بصفة خاصة على المناطق الواقعة جنوبى الصحارى الافريقيةالكبيرة - وهذهالمناطق هى : كينيا ، وروديسيا ، وتنجانيقا ، وغربى افريقية الفرنسية ، والمنطقة القارية ، ونيجيريا وغيرها • وأخشى ما يخشاه المستعمرون أن تطغى حركات التحرير فى هذه المنطقة •

لقد شهد الشرقالعربى يقظة الشعور بالقومية ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، وتحقق ذلك بفضل فشل النظام الاستعمارى فى منطقة الشرق الأوسط ، وطرد قوات المستعمرين من معظم بلدان المنطقة ، ونجاح الثورة المصرية المعادية للاستعمار ، ووصول العناصر القومية

الديمقراطية فى سورية الى مراكز السلطة • وتؤثر هذه الحركات بدورها على حركات التحرير القومى فى افريقية ، وفى آسيا ، وفى أمريكا اللاتينية بصورة تتزايد على مر الأيام • وأكثر من هذا أن تأميم مصر لشركة قناة السويس أماط اللثام عن الهدف الذى تناضل أمم الشرق من أجل تحقيقه ، ألا وهو المساواة فى الحقوق فى المجال الاقتصادى ، والتمتع بالاستقلال الاقتصادى أيضا • وحتى يومنا هذا يذكر المستعمرون تأميم مصر لشركة قناة السويس ، فيصيبهم الانقباض •

ولقد كان من الممكن أن يكتشف المحتكرون الأمريكيون - الذين يفتقرون الى النظرة البعيدة - أن الفرصة قد حانت ، فى المراحل الأولى لأزمة السويس ، ليقطعوا نهائيا ذنب الأسد الكبير ، غير أن القوى السياسية التى أطلقتها أزمة السويس من عقالها كانت بمثابة خطر يتهددهم أيضا • وهكذا أحست أمريكا أنها ليست فى حاجة الى طرد بريطانيا بقدر ما هى فى حاجة الى حماية مصالحها •

« مبدأ أيزنهاور »

وهكذا تغير موقف أمريكا من الشرق العربى الى حد كبير ، وذلك بعد انتهاء أزمة السويس • أما موقفها القديم ، فقد سبق لها أن أعلنت عنه قبل مضى ستة أسابيع على انتصار الحزب الجمهورى (حزب أيزنهاور ودالاس) وعرفت أمريكا هذه السياسة قائلة أنها تهدف الى « كسب ثقة العرب فى الولايات المتحدة » • كانت هناك محاولة لكسب الجولة التى خسرتها بريطانيا ، وكانت هناك محاولة لاغراء سادة غربى آسيا الاقطاعيين بالامتيازات ، واكتسابهم الى صف الولايات المتحدة ، والسيطرة على حقول البترول التى تمتد عبر الخليج العربى • ولكى يحقق دالاس هذه السياسة (وهو الذى خرج بفكرة حلف

بغداد) وضع بلده فى مكان أمين ، وترك بريطانيا تواجه عواقب تصرفاتها ، وفى الوقت نفسه أخذ يعمل ليجعل كافة العرب يتحالفون على الدوام مع وزارة الخارجية الأمريكية ٠

ويجب علينا أن ندرس موقف الولايات المتحدة من أزمة السويس على ضوء هذه السياسة التى أشرنا اليها ٠ وعندما شرعت النيويورك تايمز فى التعليق على مبدأ أيزنهاور ، كتبت تقول :

« لم تكن الولايات المتحدة متحمسة فى تأييدها لبريطانيا ابان المفاوضات الطويلة التى أجريت بعد تأميم جمال عبد الناصر على قناة السويس فى شهر يوليو الماضى ٠ والتزمت واشنطون سياستها القديمة فى موقفها المبدئى من التدخل الأنجلو أمريكى » ٠

غير أن أمريكا اكتشفت مع ذلك أن الزمام سيفلت من يدها ، ولهذا أعادت تحديد سياستها وأكسبتها طابعا صارما ٠

لهذا ، لا يجب أن تحصل مصر الصديقة على قناة السويس ٠ وتنتزعها من بريطانيا وسط تهليل الدول العربية ورضاء الولايات المتحدة العميق ٠ ان الولايات المتحدة لم توقف حرب السويس ، وانما أوقفها الاتحاد السوفيتى ٠ ورأى العرب أن جمود الولايات المتحدة فى الأيام الأولى للغزو شيء غامض يدعو الى الريبة ، ولا يمكن تفسيره بحال من الأحوال ٠ ومن ناحية أخرى نجد أن الولايات المتحدة لم تعبىء القوى المؤيدة فى الأمم المتحدة ، ولم تشغل الرأى العام العالمى ، وانما يرجع الفضل فى هذا كله الى بلدان الكتلة الافريقية الآسيوية ٠ والدليل على هذا أن النيويرك تايمز قد قالت فى السادس من شهر يناير :

« سرعان ما سيتضح ، حتى فى واشنطن نفسها ، ان الولايات المتحدة كانت تسير فى أعقاب روسيا ، وفى أعقاب الكتلة الآسيوية الافريقية ، وانها حين تتصرف بدافع من نفسها فان حب الناس لها

سيختفي على الفور » . كان على أمريكا أن تتصرف على هذا النحو ، فلقد كان هناك جمال عبد الناصر ، وكان هناك الحياد ، وأكثر من هذا أن وجود جمال عبد الناصر ، ووجود الحياد ، أخذا ينتشران ويحققان نوعا من الاستقرار ، ليظهرا في النهاية بتلك الصورة التي يألفها العالم العربي في الوقت الحالي . فاذا ما انتشرت عدوى الحياد وأصابت الآخرين (ومن المؤكد أن ذلك سيحدث) فان سياسة أمريكا الخارجية ستتعرض حينئذ لصدمة عنيفة .

« اعتداء على ميثاق الأمم المتحدة »

ان **الخوف** من الأمم المتحدة هو الذى أثر الى حد كبير على سياسة الولايات المتحدة وجعلها تخرج **بمبدأ أيزنهاور الذى خالف بلا شك ميثاق الأمم المتحدة** . لقد أخذت الأمم الصغيرة في الأمم المتحدة تؤكد وجودها وتفرض نفسها ، كما أن طابع الجمعية العامة تغير . ولم يعد الأمل يراود الدول الكبرى في الحصول على تأييد يخدم أغراضها . فالرأى العام العالمي قد ظهر في الأفق أخيرا ، وهذا الرأى العالمي يحكم على كل مسألة على ضوء مـزاياها ، ولا يطيع التعليمات المفروضة ، سواء صدرت هذه التعليمات من واشنطن أو من موسكو . **لقد حاولت الولايات المتحدة الحلول محل الأمم المتحدة، ومحل الرأى العام العالمي ، وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نلمس الطابع الاستعماري لمبدأ أيزنهاور** .

وبعد مضى يوم على اذاعة مبدأ أيزنهاور ، كتبت النيويورك تايمز والغبطة تملؤها :

« من الواضح أن رسالة الرئيس أيزنهـاور تدل على أنه لمس استحالة سيطرة الأغلبية في الجمعية العامة على السياسة الخارجية لدولة كبرى تحس اليوم بأنها مسئولة عن سلامة العالم الواقع خارج نطاق الستار الحديدى » .

غير أن هذه الحقيقة التى « لمسها » الرئيس أيزنهاور لم تكن الا انعكاسا ليقظة المصالح الاحتكارية ، والشعور بأن الظروف قد تغيرت بسرعة ، وأن هذا التغير يتطلب رسم سياسة أستعمارية جديدة ٠

وليس من شك فى أن كبار رجال البترول فى أمريكا هم الذين أوحوا بفكرة مبدأ أيزنهاور ، ونذكر على وجـه الخصوص نلسون روكفلر وخطابه المشهور الذى بعث به الى الرئيس أيزنهاور ونشرته صحف العالم فى شهر فبراير عام ١٩٥٧ ٠ وفى هذا الخطاب أصر روكفلر على عدة أشياء ، وأهمها استخدام المعونة الاقتصادية الامريكية بصورة فعالة ٠ وأشار الى سياسةالولايات المتحدة فى ايران باعتبارها نموذجا للمعونة الاقتصادية ، وقال « لو نجحنا فى الحصول على بترول ايران عن طريق المعونة الاقتصادية ، ونحن الآن نتمتع بمركز طيب فى الميدان الاقتصادى هناك ، وعنـــــدما تم تدعيم مركزنا الاقتصادىاستطعنا أن نسيطر علىسياسة ايران الخارجية ، واستطعنا بصفة خاصة أن نجبر ايران على الانضمام الى حلف بغداد ٠ وفى الوقت الحالى لا يستطيع الشاه أن يجرؤ على تعديل مجلسه الوزارى دون أن يأخذ رأى سفيرنا هناك » ٠

وفى مكان آخر من خطابنه ، يتحدث روكفلر بمزيد من الصراحة ، ويوضح كيفية استخدام المعونة الامريكية ٠ اذ يقول :

« يجب علينا أن نلتزم جانب الحكمة ونقدم العون الاقتصادى الضخم للبلدان التى نريد أغراءها بالتحـالف معنا ، ولكن يجب أن نستخدم مزيدا من المرونة والحرص ونحن نقدم على هـــذا الاجراء ٠ ذلك أننا تعودنا فى الماضى أن نجعل الارتباط بحلف من أحلافنا شرطا لتقديم المعونة الاقتصادية وفعلنا هـذا بطريقة فجة جعلت عددا كبيرا من الحلفاء الأقوياء يتخلون عنا ٠ يجب علينا أن نتصرف فى آناة وحرص ، ويجدر بنا — فى المراحل الأولى — أن

تقنع ببعض الامتيازات السياسية المتواضعة فى مقابل مساعداتنا الاقتصادية (بل ويجب علينا ألا نطالب بأى امتياز على الاطلاق فى بعض الحالات الاستثنائية وبمرور الوقت ، وبأنتهاء المرحلة الأولى ، سيصبح الطريق معبدا أمامنا لنطلب الثمن باهظا فى المجال السياسى ولفرض مزيدا من الشروط العسكرية » ٠

ولقد رسم دالاس المبادىء الأساسية لمشروع أيزنهاور فى المذكرة التى بعث بها الى الرئيس الأمريكى أيزنهاور فى نهاية عام ١٩٥٦ ، والتى ظهرت فى الصحف الأوربية فى الربيع التالى ٠ وأشار دالاس فى هذه المذكرة الى الموقف فى غربى آسيا ، وقال أنه اذا فشلت أمريكا فى التصرف بحزم على الفور ، فأنها لن تؤدى المهمة التى وكلها الله بها ، ألا وهى انارة السبيل أمام العالم الحر ٠ وقال أنه يعتقد أن على الولايات المتحدة أن تنتهج سياسة جديدة تهدف ، قبل كل شىء ، الى كبح جماح القومية العربية ، والى ملأ الفراغ الموجود فى غربى آسيا ٠

ووافق مجلس الأمن القومى على هذه الآراء ، وعلى تلك الأهداف المحددة للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، كما رسمها دالاس فى مذكرته ٠ وكانت هذه الآراء ، وتلك الاهداف ، الأساس الذى بنى عليه أيزنهاور مبدأه ٠

ولقد أفاض السناتور كيفوفر فى تصوير الدور الكبير الذى لعبته المصالح البترولية فى رسم خطوط مبدأ أيزنهاور ، وكان ذلك فى المناقشات التى دارت حول هذا المبدأ ويجب ألا يغيب عن بالنا أن المصالح البترولية الأمريكية فى غربى آسيا أضخم مما تصوره الاحصاءات الخاصة بالاستثمارات ٠ ولا شك أن البترول المؤمم سيباع بأسعار رخيصة فى الأسواق العالمية ، مما يهدد صناعات البترول المحلية فى الولايات المتحدة ٠

وفى المناقشة التى دارت حول مبدأ أيزنهاور تساءل السناتور كيفوفر :

« آن السؤال الذى يواجهنا الآن هو : هل ستخضع السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط لمصالح شركات البترول الكبرى التى قد تعبر ، أو لا تعبر ، عن المصالح الحقة لبلدنا ، وشعبنا ؟ »

ثم أردف يقول :

« واذا كان الماضى عبرة للمستقبل لوجدنا أن هناك أكثر من سبب يجعلنا نحس بالقلق ، حين نرى أن شركات البترول الكبرى هى التى ستتحكم — فى الواقع — فى سياستنا تجاه منطقة الشرق الأوسط ».

ثم أخذ السناتور كفيوفر يصف كيف أن شركات البترول كانت تحصل مرارا على ما تريد وأثناء هذه المناقشات أكد السناتورمورس أن جورج همفرى وزير المالية فى حكومة أيزنهاور مرتبط باحدى شركات البترول ارتباطا وثيقا .

والواقع أن مجلة « ذى لامب » (المصباح) التى تصدرها شركة ستاندرد أويل قد أزاحت الستار عن الحقائق الدفينة ، حين كتبت فى مقال افتتاحى (قبل اعلان مبدأ أيزنهاور) كتبت تقول :

« ان الأمل يراودنا فى أن تقوم الولايات المتحدة — حين تؤيد حق أمة فى تقرير مصيرها وتخلصها من السيطرة الأجنبية — باصدار بيان عام حازم لا غموض فيه ولا ابهام ، بيان يجرى على النسق التالى مثلا :

« اذا حدث أن قامت حكومة أية دولة باجراء من جانب واحد ، وألغت بمقتضاه اتفاقية معقودة بينها وبين دولة أخرى فان الولايات

المتحدة ستتصرف فى هذه الحالة بمفردها ، أو بالتعاون مع دول أخرى ، أو عن طريق الأمم المتحدة ، وتتخذ الاجراءات الاقتصادية المناسبة وتلغى أية اتفاقات معقودة بينها وبين هذه الدولة المعتدية ، ومثل هذا البيان يعلم الأمم الاخرى من نحن ، ويؤكد هذا البيان مرة أخرى ايماننا بأن العقود الممهورة بالتوقيعات لها كيانها الخاص وأنه اذا صارت احدى الدول ذات السيادة طرفاً فى عقد من العقود فعليها ألا تنكث بالوعد الذى قطعته على نفسها »٠

وهكذا عبر مبدأ أيزنهاور عن قلق شركات البترول ، مثل شركة ستاندرد أويل هذه ٠ ولنقتبس مرة أخرى عبارة جاءت فى حديث السناتور كيفوفر :

« اننى على يقين من أن قلق شركات البترول على عقودها الخاصة ، واقتراحها بأن تصدر الحكومة الأمريكية بيانا حازما لا غموض فيه ولا ابهام ، قد تلاه على الفور ذلك البيـــان الذى يطالب الرئيس ايزنهاور بأن يصدق عليه الكونجرس الآن ـ هذا البيان هو عبارة عن : مشروع الشرق الأوسط » ٠

« خطة تهدف الى التدخل »

كانت وزارة الخارجية الأمريكية تعرف القانون الدولى ، أما مديروا شركات البترول فكانوا يجهلونه ٠ويعرف كافة رجال القانون الدولى البارزين أن التأميم اجراء قانونى اذا ما تم دفع التعويضات ، وأن أى تدخل بحجة التأميم أمر مناف للقانون ٠ واذن ، يجب أن يكون هنا كتبرير غامض لهذا التدخل : ـ **تدخل سياسى فى الوقت المناسب حتى نضمن سقوط الحكومات التى تجرؤ على التأميم دون أن تنال جزاءها ٠**

لقد أجاد البريجادير س ٠ هـ ٠ لونجريج (من المعهد الملكى

للمسائل الدولية) فى تحديده لهذه المهمة اذ كتب فى « التاريخ المعاصر » (عدد يونيو عام ١٩٥٦) كتب قبيل أزمـــة السويس يقول :

« ان المشكلة التى تثيرها هذه المادة هى ضمان استمرار الوضع على ما هو عليه فى بلدان الشرق الاوسط المنتجة للبترول ، وذلـك لكى يتدفق البترول باســـــتمرار فى المستقبل برغم وجود بعض العناصر التى لو سيطرت على الموقف لألحقت به ضررا كبيرا ، أو قضت عليه قضاء مبرما » ·

ووضع مبدأ أيزنهاور موضع التنفيذ ليحقق هذين الغرضين :
(أ) مواجهة هذه المشكلة التى أشرنا اليها منذ قليل ·
(ب) التأكد من سيطرة الغرب على هذه المنطقة الاستراتيجية · الغنية بالبترول ·

كان الهدف من مبدأ أيزنهاور الظهور بمظهر القوى ، لكى يؤثر هذا على التطورات السياسية التى تجرى فى غربى آسيا ، ولكى يقضى على الوحدة العربية ، واستقلال العرب ، ويشجع العناصر الرجعية المحلية بعد الذى أصابها فى أزمـــة السويس ، ويحمى اسرائيل من أى هجوم يشنه العرب ، ويكبح جماح مذهب الحياد ، ويضمن المصالح البترولية فى المنطقة ·

خلاصة القول أن هذا المبدأ ، مبدأ أيزنهاور ، يريد أن يجعل من الشرق العربى محمية تابعة لأمريكا · وبالطبع تذرعت الولايات المتحدة بمسألة الشيوعية ، والخطر الشيوعى ، وهى مسألة جعلت ايدن يصيح ويصيح حتى أصيب بانهيار عصبى ·

وفى الخامس من شهر يناير عام ١٩٥٧ أذاع الرئيس أيزنهاور نص الخطة ، وقدم للفقرات الهامة من خطابه بأن حلل الموقف

الجديد فى غربى آسيا — أو « الموقف الخاص » كما سماه هو — قال أيزنهاور أن الخطر السوفيتى يتزايد فى هذه المنطقة الحيوية التى تهم الغرب ، وأن أمم الشرق الأوسط أمم ضعيفة ضئيلة . وأن الأمم المتحدة « لا يمكن الاعتماد عليها اعتماداً كليا من أجل صيانة الحرية » . وقال أن دول غربى أوربا كانت تمارس نفوذها فى هذه المنطقة فى يوم من الأيام ، وأنها الآن ليس لها نفوذ . ونتيجة لهذا وقعت مسئولية الرجل الأبيض (التى تحتم عليه حماية العرب) وقعت هذه المسئولية على عاتق الولايات المتحدة . من أجل هذا كله وجب اقتراح الاجراء التالى :

أولا : يخول للولايات المتحدة حق التعاون مع أية مجموعة من اقتصادياتها التى تهدف الى صيانة استقلالها القومى .

ثانيا : يخول للسلطة التنفيذية حق تنفيذ برامج المساعدات دول الشرق الأوسط المملوء بالشاحنات ومساعدة هذه الدول لتدعيم العسكرية والتعاون العسكرى مع أية دولة او مجموعة من الدول التى ترغب فى مثل هذه المساعدات .

ثالثا : يخول لمثل هذه المساعدات وذاك التعاون ، حق استخدام قوات الولايات المتحدة المسلحة لضمان وحماية السيادة الاقليمية ، والاستقلال السياسى للدول التى تطلب المساعدة لمواجهة أى اعتداء علنى مسلح تشنه أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية .

رابعا : يخول لرئيس الجمهورية حق استخدام المبالغ المصرح بها بمقتضى المادة الخاصة بالأمن المتبادل لعام ١٩٥٤ ، وذلك لتنفيذ الأغراض الاقتصادية ، وأغراض الدفاع العسكرى » .

« أهداف بشعة »

ان غموض مبدأ أيزنهاور لا يمكن أن يغطى أهدافه البشعة ـ

والواقع أن هذا الغموض نفسه كان اجراء ضروريا لانجاح المبدأ . فالمبدأ لم يحدد المجال الحقيقى للمنطقة التى يحميها ، كما لم يوضح لنا ما معنى « أن تخضع للنفوذ الشيوعى » ، ومرة أخرى لم يوضح مبدأ أيزنهاور الى أى مدى يطلب من الأمم المتحدة وضعه موضع التنفيذ فى بعض الحالات الخاصة . والواقع أن ما جاء فى مقال دانا آدامز شميدت (١٣ يناير) قد أصاب كبد الحقيقة ، اذ جاء فى هذا المقال :

« لقد كان الغموض يحيط بالمشروع كله بطريقة متعمدة ، ولا بد أن يظل هذا الغموض كما هو ، اذ أريد لهذا المشروع أن يحقق أهدافه الجريئة » .

ومع ذلك ، كانت هناك أسئلة وأجوبة فى مجلس الشيوخ الامريكى وكان أن أماطت اللثام عن بعض التصرفات التى قد تقدم عليها الولايات المتحدة بمقتضى مبدأ أيزنهاور . فقد اتضح على سبيل المثال أن الولايات المتحدة « ستمضى فى تنفيذ مشروعها على أية حال » **حتى ولو رفضت الأمم المتحدة التصديق على الاجراءات التى تقدم عليها . واتضح أيضا أن مبدأ أيزنهاور قد يستغل على الفور لغزو أى قطر يتم علاقاته بالأقطار الشيوعية . والأمر متروك للولايات المتحدة أيضا لتقرر ما اذا كان هذا القطر قد أقدم على العدوان أم لم يقدم . والأمر الذى لا شك فيه أن الولايات المتحدة كانت تنوى التصرف ازاء هذه المواقف دون أى اعتبار لرغبات الأمم المتحدة .**

وكان على الولايات المتحدة أن تملأ — من الآن فصاعدا — هذا «الفراغ» المزعوم الذى تصورته بعدأفول النفوذ البريطانى والفرنسى . وبالطبع لن يتغير أسلوب ملء الفراغ عن الأسلوب الاستعمارى القديم الا بصورة طفيفة . والأمر يتطلب استخدام الألفـــاظ الودية ، وتوزيع المعونات الاقتصادية ، وتجربة وسائل الاغراء الى أن يثبت فشلها . وبعد هذا كله : الطوفان !

ويجدر بنا أن نفيض فى أقتباس بعض العبارات التى جاءت فى أقوال دالاس أمام لجنة الشئون الخارجية :

« والآن ، هناك عبارة كثر استخدامها ، وهى عبارة يجب استخدامها بمنتهى الحرص ، ألا وهى : ملء الفراغ . هذه العبارة ، حين نستخدمها هكذا وحدها ، لا تقابل بالرضى فى البلدان العربية ، وهذا أمر مفهوم ، ذلك لأن الدول الاستعمارية استخدمت نفوذها فى هذه المنطقة فى الماضى ، ونستطيع أن نقول أن نفوذ المملكة المتحدة وسلطانها ، هما اللذان قاما بحماية المنطقة ، قرابة المائة عام الماضية ، من القيصرية ومن المطامع السوفيتية . وأصارحكم القول بأن هذه البلدان لا تريد الآن هذا النوع من الحماية » .

« العرب يرفضون مبدأ أيزنهاور »

أما الحماية التى تكفلها الولايات المتحدة فمن نوع آخر ، نوع يأمل دالاس فى أن يحوز رضاء العرب . يقول دالاس :

« والآن ، وقد أطلعت بلدان المنطقة على رسالة أيزنهاور ، نرى أن رد الفعل قد تغير بصورة ملحوظة ، ولدى من الأسباب مايجعلنى أومن بأن جميع شعوب المنطقة سترحب بهذا المبدأ بصفة عامة .

غير أن المستر دالاس أخطأ فى التقدير مرة أخرى . فلقد قرأ العرب مبدأ أيزنهاور المرة بعد المرة ، فكان أن تصلب موقفهم وتبلورت معارضتهم وهم يطلعون على هذا المبدأ الذى يحاول أن ينزل بتاريخهم ومدنيتهم الى الدرك الأسفل ليجعل من منطقتهم مجرد « فراغ » ويحرمهم حتى من حق ملء هذا « الفراغ » المزعوم ، هذا الفراغ الذى خلقوه بانتصاراتهم التى أعتمدوا فيها على قوتهم وحدهم دون أن يساعدهم أحد . أما العنصر الجوهرى الذى شكل وجهة النظر العربية فهو : عدم وجود أى خطر شيوعى يهدد استقلال البلدان العربية . فالاتحاد السوفيتى لم يحاول تدعيم نفوذه فى

المنطقة الا بالقدر الذى يستطيع به أن يساعد العرب فى نضالهم مع الغرب ليحققوا الحرية . لم تكن الشيوعية خطرا خارجيا وشيك الوقوع ، لم تكن كذلك فى نظر جمال عبد الناصر ، أو القوتلى ، أو النابلسى ، ومن المؤكد أنها لم تكن كذلك فى نظر الشعب العربى نفسه . ومن ناحية أخرى كان هناك شعور فياض بالاعتراف بالجميل لقاء ما قدمته روسيا من مساعدات . وقد ذكر جمال عبد الناصر لمراسل مجلة « لوك » ـ بعد أزمة السويس ـ أن مصر لم تصوت ضد الاتحاد السوفيتى أثناء مناقشة الأمم المتحدة لمشكلة المجر « لأن الاتحاد السوفيتى كان البلد الوحيد الذى أيدنا ـ فى مجلس الأمن ـ أثناء الخلاف الذى دار حول قناة السويس . لقد امتنعنا عن التصويت بوحى من اعترافنا بجميل الاتحاد السوفيتى » . وهكذا كان من الطبيعى ـ حين ينتفى وجود الخطر الذى يتطلب النضال ـ أن يشك العرب فى الذين أشاروا الى هذا الخطر المزعوم ، العرب الذين ذاقوا الأمرين من التدخل الأجنبى وقضوا معظم وقتهم وهم يكافحون هذا التدخل .

وفى الثامن من شهر يناير علق راديو القاهرة على مبدأ أيزنهاور قائلا :

« ان مصير الشرق الأوسط أمر لا تستطيع الولايات المتحدة أن تقرره ، ولا الاتحاد السوفيتى ، ولا أى دولة أخرى ، وانما يقرره شعوب هذه المنطقة وحدها ، فهى تفهم المسئولية التاريخية الملقاة على عاتقها لانقاذ السلام العالمى ». وعبر راديو القاهرة عن خوفه من أن يشعل مبدأ أيزنهاور نيران حرب عالمية ثالثة . ورحبت حكومة سورية فى بيان لها بما أكدته الولايات المتحدة من احترامها لسيادة منطقة الشرق الأوسط ، غير أنها أضافت قائلة :

« ان مسئولية حفظ السلام وصيانته فى منطقة الشرق الاوسط

أمر يهم الشعوب العربيـــــة وحدها وهم الذين يتمتعون بحقوقهم الشرعية في أن يحموا أنفسهم من أي خطر يتهددهم » .

وفي الهند ، أعلن نهرو أن أي فراغ موجود في غربي آسيا يجب أن تملأه أقطار المنطقة بقوتها ونهضتها . وفي السادس من شهر يناير نشرت صحيفة النيويورك تايمز برقية لها من القاهرة جاء فيها : « أما فيما يتعلق باقتراح أيزنهاور الذي يطلب فيه من الدول التي تقف جانبا بأن تستخدم قواتها اذا ما لزم الأمر لمواجهة أي اعتداء سوفيتي على منطقة الشرق الأوسط ، فان المصريين يشكون الى حد كبير في جدوى التهديد الذي تتضمنه هذه الأقوال ، وينادون بأن تسعى الولايات المتحدة الى التصرف عن طريق الأمم المتحدة دون غيرها .

ولخصت صحيفة « الأخبـــــار » المصرية رد الفعل العربي ، اذ قالت :

« ان من يعتقد أن الشعوب العربية سترضى بحلول النفـــــوذ الأمريكي ، أو النفوذ السوفيتي محل النفوذ البريطاني والفرنسي ، لا يدرك أن العرب قد صمموا على ألا تصبح بلادهم ميدانا للنفوذ الأجنبي أو الحرب الباردة أو الحرب الساخنة . اننا على يقين من أن أي « فراغ » في المنطقة ستملؤه القومية العربية » .

وفي الثامن عشر من شهر يناير عقد أقطاب العرب مؤتمرهم الذي ناقشوا فيه مبدأ أيزنهاور ، وبعد انتهاء المؤتمر أذاعت مصـــــلحة الاستعلامات المصرية البيان التالي :

« قام كل قطر عربي بالتعبير عن وجهة نظره ، واتفق الجميع على رفض نظرية « الفراغ » ، وقرروا أن القومية العربية هي الأساس الوحيد الذي يتم بمقتضاه تشكيل السياسة العربية » .

وفي نفس الوقت على وجه التقريب عبر جمال عبد الناصر عن رأيه

الشخصى الهام لمؤلف هذا الكتاب · فقد وجهت الى سيادته السؤال التالى :

« راعنا ـ نحن الهنود ـ أن يصم الأمريكيون أخيرا كل هذه الحرية وذاك البعث اللذين حققهما الشعب المصرى والشعوب العربية جمعاء (الذين يصل عددهم الى ٨٥ مليون نسمة) بوصمة «الفراغ» · هل لى أن أعرف ردكم على الذين يزعمون ، فى الغرب ، أنهم سيملأون « الفراغ » ؟

ورد جمال عبد الناصر قائلا :

« لقد قمنا بالرد عليهم أخيرا حين جعلنا العدوان الثلاثى ينكص على عقبيه ، وحين أجبرنا الغزاة على الانسحاب من أرضنا دون قيد أو شرط ، ولا يوجد فى هذه المنطقة ما يسمى « بالفراغ » **اذ لو كان هناك « فراغ » حقا لاستطاع الاسرائيليون والبريطانيون والفرنسيون أن يملأوه فى غزوهم الأخير ! »**

وقال أحد كبار رجال الاقتصاد اللبنانيين أن « المعونة » الضخمة التى وعدت بها أمريكا بمقتضى مبدأ ايزنهاور ما هى الا محض أخيلة وأوهام · وقال أننا لو وزعنا المائتى مليون دولار الذى قامت الولايات المتحدة بتخصيصها لشعوب منطقة الشرق الأوسط الذين يبلغ تعدادهم ١٦٠ مليون نسمة **لنال كل واحد منا أقل من علبة سجائر شهريا !** بل ان هذه الأموال ستعاد اليهم مرة أخرى بالاضافة الى فوائدها · ففى عام ١٩٥٥ فقط ، كان صافى أرباح شركة أرامكو من بترول السعودية العربية ٥٥٠ مليون دولار ·

وجوبهت الولايات المتحدة بهذا الحزام الذى يصر على عدم الارتباط ، ومن ثم ركزت جهودها لكسب كل قطر على انفراد ، واحداً اثر الآخر · ولكى تحقق هذا الهدف أخذت تخطب ود تلك الأقطار كلما أمكن ، وتعمل على تخريبها وتخويف العناصر الوطنية من أخطار غزو خارجى كلما استدعت الضرورة ·

٩ – من جلوب باشا الى دالاس باشا

يدعى الأمريكيون أن السلام قد عاد الى ربوع الأردن ، غير أن ذوى البصيرة سيكتشفون بوضوح أن هذا السلام المزعوم هو سلام يوحى به الشلل السياسى ، ويوحى به العدم . أن هذا الدمار الوحشى الكلى للديموقراطية ، وللحكومة الدستورية بالأردن تابوت يرقد فيه أول ضحية من ضحايا المرحلة الأخيرة للاستعمار الأمريكي الذى يختفى فى دهاء وراء ستار كاذب اسمه مبدأ أيزنهاور .

ويتلخص جوهر الأزمة التى يعانى منها الأردن فى أن دالاس باشا قد حل محل جلوب باشا ، حدث هذا بعد فترة قصيرة تمتع فيها الأردن بالديموقراطية القومية ، ثم وضع ملك الأردن خاتمة لهذه الفترة بايعاز من سفارة الولايات المتحدة هناك . والذين عاصروا الأيام التى تطرفت فيها بريطانيا لتفرض السلام فرضا سترتعد فرائصهم ازاء سياسة القوة ، وسياسة رجال العصابات ، وهى السياسة التى فرضتها أمريكا ، خليفة بريطانيا .

ذلك لأن الاستعمار البريطانى قد ستر عورته على الأقل بشىء من الديموقراطية والتحرر . أما الحكم الذى تفرضه أمريكا فلايعترف بشىء من هذا . لقد تدهور الأردن من بلد ديموقراطى على النمط البريطانى الى بلد تسود فيه اقطاعية القصر وقبيلة رجال البدو ، بصورة رجعية لم يسبق لها مثيل . وهذا دليل على ما يعانيه العالم وما يعانيه هذا الجزء من آسيا بوجه خاص . من القيد الأمريكى .

« صنيعة بريطانيا »

تسربت أخبار الأزمة التى طال عليها الأمد فى الأردن ، تسربت

الى بقية أنحاء العالم عن طريق المصادر الغربية التى يهمها أمر هذه الأزمة • وربما تساءل القارىء جين يطلع على دعاية الغرب التى تتناول كل شيء أفلت من ستار الرقابة الحديدى : أهى أزمة الأردن أم أزمة مبدأ أيزنهاور ؟

ولكى يتخلص عقل السائل من هذه البلبلة يجب أن يتذكر تاريخ الظروف التى لامست مطلع الأزمة ، ويجب عليه أيضا أن يلم بالاطار التاريخى للأردن •

لا يكاد الأردن يستحق أن نطلق عليه لفظة أمة • فلقد كان ، قبل عام ١٩٢٠ ، صحراء يأوى اليها البدو الرحل واقتطعت دولة الأردن من الأراضى التى كانت ملـــكا لسورية على الخريطـــة الاستعمارية البريطانية ، ومنح هذا الجزء المقتطع للملك عبد الله جد الملك حسين، مكافأة له على اخلاصه لبريطانيا • وقدم له هذه الهدية فى ذلك الحين المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات •

ويعتبر الأردن الحديث ـ الى حد كبير ـ ثمرة من ثمار حرب فلسطين التى دارت رحاها فى الفترة ما بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨• واقتطع الملك عبد الله لنفسه جزءا لا بأس به من الأرض • وكان عدد رجال القبائل من البدو ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة تقريبا ، ثم امتزجت بهؤلاء السكان الأصليين عناصر لا يقر لها قرار تضم حوالى ٥٠٠٫٠٠٠ لاجىء فلسطينى ممن تأصلت فى نفوسهم كراهية اسرائيل والغرب ، ولم يكن كرههم لأمريكا بأقل من كرههم لبريطانيا • والآن ، يبلغ تعداد الأردن ١٥٠٠٫٠٠٠ نسمة يشغلون مساحة قدرها ٣٧٥٠٠ ميل مربع •

وأصبح اللاجئون الفلسطينيون درع القومية العربية القوى ، كما صاروا رأس الرمح الذى يحلم به العرب لكى يجدوا فى النهاية وطنا مشتركا تلوذ به جميع الشعوب العربية التى تقطن فى غربى آسيا

وشمالى افريقية • وتحاول الدعاية الغربية أن تصور هؤلاء اللاجئين في صورة الرعاع المتفككين • غير أن الدراسة الموضوعية لتـاريخ الأردن ترينا أن حلول الملكية محل المذهب القبلى ، وتحول الاقطاع والحكم المطلق الى ديموقراطية فعالة تبشر بوصول الأردن الى الوضع الجمهورى الذي وصلت اليه مصر وسورية ، كل هذا تم بفضـل نفوذ اللاجئين الفلسطينيين الى حد كبير •

« الحرية والديموقراطية »

في عام ١٩٥١ قتل اللاجئون الملك عبد الله لأنه خان مصالح الأردن من أجل بريطانيا • وكان برلمانهم هو الذى خلع الملك طلال ، ابن عبد الله ووالد حسين ، على أساس أنه مريض بعقله • وأبدى شـعب الأردن شجاعته وقوته مرارا عندماأجبر الملك حسين الصغير - المختل العقل أكثر من أبيه - بأن يقف فى وجه المحاولات التى قام بهـا الجنرال تمبلر ليزج بالأردن فى حلف بغداد ، وأن يطرد الجنرال جلوب وغيره من العملاء البريطانيين ، وأن يلغى المعاهدة الانجليزية الأردنية •

وهكذا لم يصبح الأردن دولة مستقلة الا فى الآونة الأخيرة فقط ، أى قبيل حرب السويس ، وأثناء هذه الحرب ، وفى أعقابها وكان هناك اعتراف عام بأن انتخابات أكتوبر عام ١٩٥٦ أول انتخابات حرة شهدها الأردن فى تاريخه • وأدى ذلك الى ظهور حكومـة شعبية يرأسها النابلسى ، وعدة أحزاب سياسية يتزعمها حـزب البعث الاشتراكي • وتطور الوعى الاجتماعى والسياسى بصورة يندر وجودها فى العالم العربى •

فماذا عن « التهديد الشيوعى » للأردن اذن ؟ لم يحدث أبدا أن كانت الشيوعية خطرا حقيقيا يتهدد الأردن • فلقد كان الحـزب

الشيوعي محرما • وليس من شك في أنه كان هناك شيء من الميل الايديولوجي الغير المنظم تجاه الشيوعية بين صفوف اللاجئين ، كما قال النابلسي لمؤلف هذا الكتاب ، غير أن النابلسي كان يكافح هذه الاتجاهات بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية • **وأضاف قائلا أنه**
على استعداد لمكافحة الشيوعية باسمه وباسم بلده ، ولكنه ليس على
على استعداد لمكافحة الشيوعية باسمه وباسم بلده ، ولكنه ليس على
استعداد لمكافحتها باسم المستر دالاس أو المستر أيزنهاور •
وكان هذا هو وضع المشكلة •

لقد شهد مؤلف هذا الكتاب بنفسه براعم الديموقراطية وهي تتفتح في الأردن ، ويستطيع أن يقول ، - دون أن يؤذي هذا شعور الجمهوريات المجاورة - أنه كان من الممكن أن يكون الأردن « معملا » صغيرا ، مركزا ، مجديا ، لاجراء تلك التجربة الجديدة في غربي آسيا • تجربة الديموقراطية والحكم الدستوري •

ومع ذلك ، لم يحدث شيء من هذا القبيل • لقد طرد شعب الأردن جلوب باشا ، غير أنهم لم يكونوا يعرفون أن دالاس باشا ينتظر في الزاوية التي تقبع بها السفارة الأمريكية ، ليلعب دوره هو الآخر ، كانت واشنطن قد انتهت الى أن تحول الملكية الاقطاعية في الأردن الى ديموقراطية - وربما الى جمهورية - لا يلائم فكرة أمريكا عن عالم « حر » يرضي سادة الولايات المتحدة • كانت الفلسفة الأمريكية تؤمن بأن نهاية النفوذ البريطاني في أي دولة شرقية لا بد وأن يترك « فراغا » لا يستطيع أحد أن يملأه غير أمريكا » •

« التدخل الأمريكي »

وهكذا اقتحم مبدأ أيزنهاور مسرح الأحداث في الأردن ، وفرض على هذه الأمة الهادئة المسالمة ، التي كانت تشكل مصيرها نحو الحرية والديموقراطية ، فرض عليها أزمة لم تكن من صنع يديها •

وما أن سمع العالم بأنباء هذا المبدأ الغريب فى أوائل عام ١٩٥٧ حتى إتضح لكل من أمعن النظر فيما وراء الزخارف اقتصـــادية والايديولوجية ، والشبح الشيوعى الذى أظهره المبدأ ليبرر تهجمه على القومية العربية ، أن الهدف الحقيقى من هذا المبدأ هو الانفراد بغربى آسيا وشمالى افريقيه لأهميتها الاستراتيجية وبترولهما الوافر ، وجعل هذه المنطقة بأكملها محمية خاضعة لأمريكا •

ولكى يتحقق هذا الهدف شنت وزارة الخارجية الأمريكية هجمات دبلوماسية منظمة ، بعد ما أصاب انجلترا وفرنسا من تصدع فى حرب السويس • وتزعمت هذه الهجمات عبقرية المستر دالاس ذات الصبغة الميكافيلية •

أما العقبة الرئيسية التى اعترضت سبيل أمريكا فى محاولاتها لخلق هذه « المحمية » التى أشرنا اليها فكانت « تلك الكتلة الصلدة التى تتمثل فى القومية العربية »• وقد تألفت هذه الكتلة من التحالف الأخير الذى ضم الدول العربية الأربع : مصر ، سورية ، السعودية

العربية ، الأردن • ولم تكتف الثلاث دول الأولى بتعويض الأردن عن المعونة البريطانية التى خسرها بعد الغائه للمعاهدة الانجليزية الأردنية ، وانما سارعت الى نجـــدته ووعدت بتقديم المساعدات العسكرية المشتركة •

فاذا ما تطور هذا الاجراء العربى الايجابى الى وحدة أو اتحاد بين هذه الدول العربية الكبرى فسيكون الخسران مآل الخطة الأمريكية• كان هناك - كما قال الرئيس جمال عبد الناصر لمؤلف الكتاب - مبدأ عربى محض صالح للدول العربية ، أخذ هذا المبدأ يظهر فى الأفق ، ببطء ولكن بطريقة تلقائية • وكان هذا المبدأ ثمرة للمؤتمرات المتعددة لملوك العرب ورؤساء الجمهوريات العربية • واعتمد هذا المبدأ الجديد على الحياد الايجابى ، وعلى التعايش ، فكان أقرب الى مثل نهرو الاعلى

فى السلام والحرية منه ألى خطة ايزنهاور التى تجلب الدمار وتخلق الاستعمار .

من أجل هذا كان هدف الخطة الأمريكية الأولى هو تدمير التحالف العربى ، وتشتيته ، والقضاء عليه .

« عملية الامتصاص »

قام السناتور ريتشاردز بجمع بعض المعلومات ، وانتهى منها الى أن من المستطاع اخضاع ملك الأردن الهزيل للضغط ، وعرف أن العقبة التى تقف حائلا بين مملكة حسين ومبدأ أيزنهاور هو البرلمان الشعبى الذى يرأسه النابلسى . ويبدو أن دالاس رأى أن « الحرب الباردة » وصلت الى ذروتها مرة أخرى ، وأن الفرصة قد سنحت ، ولا بد من استخدام القوة تجاه هذه الدولة المستضعفة لاجبارها على قبول مبدأ أيزنهاور .

والأمر الذى جعل الأردن بلدا له أهمية فى منطقة الشرق الاوسط هو موقعه ، لا موارده ، فلقد كان أشد بلدان المنطقة فقرا . كان الأردن يفصل بين سورية ومصر ، وهما القاعدتان التوأمتان اللتان يتوقف عليهما مصير البعث العربى . فاذا ما سقط الأردن صار من الممكن فرض الضغط على مصر أو على سورية . هـــذا ما دار بفكر الأمريكيين . وهكذا اختير الأردن ميدانا **لعملية الامتصاص** .

ونحن نجد أن توقيت الأزمة كان له مغزاه ودلالته . فالأزمـــة حدثت عندما ذهب ريتشاردز وبعثته الى بيروت لجس نبض الجبهة العربية الرئيسية . وليس من قبيل المصادفة أن يقلع « فورستال » - فخر الأسطول السادس الأمريكى - الى ميناء بيروت وفى نفس الوقت يجبر برلمان لبنان على تأييد قرار الحكومة الخاص بقبول مشروع أيزنهاور .

وفى نفس الوقت ذكرت مجلة « تايم » فى عددها الصادر يوم ٥ ابريل عام ١٩٥٧ أن قاذفات القنابل والمقاتلات النفاثة أخذت تحلق فوق سماء لبنان وسورية والأردن لاخضاع هذه البلدان ، بالقوة لمبدأ أيزنهاور .

ووقفت سورية صامدة لا تلين . وكذلك فعلت حكومة النابلسى فى الأردن ، بيد أن القصر أخذ يتخبط ويتذبذب وسمح الملك لنفسه بقبول الرشوة ، والخضوع للبغى ، ليتسنى له أن يلعب دور العميل فى مؤامرة أمريكية محض ، مؤامرة ضد حكومته ، وبرلمانه ، وجيشه ، وشعبه .

كيف خضع الملك الصغير للحماية الأمريكية فى ظل مبـــــدأ أيزنهاور ؟ تلكم قصة يجدر بنا أن نستعرض أحداثها . بدأت سفارة الولايات المتحدة فى تنفيذ خططها منذ شهر فبراير عام ١٩٥٧ ، وفى هذه الفترة كان مؤلف الكتاب فى العواصم المجاورة ، فى بيروت وفى دمشق .

« مؤامرة القصر »

عاش الكاتب فى خضم المعمعة ولمس بنفسه الموقف الذى أخذ يتطور فى صور متلاحقة . وكان أن أبرق الى الهند فى الأسبوع الأول من شهر فبراير ، وقص فى برقياته كيف أن اسرائيل والعراق (١) تقومان بحشد جيوشهما على حدود الأردن - بايعاز من انجلترا - وكيف أنهما تهددان بشن هجوم لا تستطيع المملكة الصغيرة أن تقاومه . وقد تكرم النابلسى بعد ذلك فأفضى بمعلومات مؤداها أن السفير الأمريكى استغل التهديد الاسرائيلى العراقى - خلال انسحاب

---

(١) هذه الوقائع حدثت قبل انتفاضة شعب العراق الكبرى فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨

بريطانيا من الأردن - ليغرى الملك حسين باصطناع أزمة حكومية يقول فيها أن هناك نفوذ شيوعى موجه ضد مجلس وزرائه . وفى نفس الوقت أذاعت واشنطن ، لأول مرة ، أنباء معونة أمريكية قدرها ٣٠ مليون دولار .

وبعد ذلك انتقلت أزمة الملك والوزراء الى القاهرة حيث عقد مؤتمر الملوك العرب ورؤساء الجمهوريات فى أواخر شهر فبراير . وفى القاهرة انضم حسين ومستشاره الأمريكى الغامض ، المستر فيكتور بيرس ، وأخذوا يفسرون مبدأ أيزنهاور ويسعون الى تأييده . وفى الدورة الثالثة للمؤتمر هدد الملك حسين بالانسحاب من الاجتماع احتجاجا على رفض المشروع الأمريكى ، غير أن النابلسى ، رئيس وزراء الأردن ، هدد بدوره بأن يلجأ الى الشعب ليستعديه على الملك . وأدى هذا الى تأجيل الأزمة .

ثم أقبل شهر مارس ، واستغله القصر الاردنى ، أقصد أم الملك وخاله ، وكذلك السفير الأمريكى ، والملحق العسكرى للولايات المتحدة ، استغلوا هذا الشهر وأخذوا يعملون على تعبئة القوى الرجعية تمهيدا للانقلاب الذى تم تدبيره سلفا . وساهمت الولايات المتحدة، بجهودها فى هذه الأحداث بأن سحبت جميع مساعداتها الاقتصادية ، وأوقفت العمل فى مشروعات النقطة الرابعة ، وأجبرت الأردن على مواجهة الأزمة الاقتصادية .

وفى نفس الوقت كانت بعثة ريتشاردز قد انتهت من أداء مهمتها التى تتخلص فى « امتصاص » لبنان ، وألقت بعصا الترحال فى أسمره منتظرة دعوة من الملك حسين لدخول الأردن . وقد سبق لحكومة الأردن أن أبدت استعدادها لمقابلة أعضاء البعثة ومناقشة المشروع الأمريكى معها دون أن يلزمها ذلك بشىء غير أن القصر أراد بايعاز من الولايات المتحدة - أن يعلن النابلسى عن قبوله لمبدأ أيزنهاور بطريقة أو بأخرى ، غير أن النابلسى رفض هذا الطلب . وكان هذه

الاجراء ايذانا بحلول الفصل الأخير من المأساة الأردنية .

وفي شهر أبريل تكررت التهديدات والاغارات وتزايدت من جانب اسرائيل والعراق ، وبلغ من وقاحة السفير الأمريكى أن وجه الى الملك حسين ما يشبه انذارا من اسرائيل والعراق بغزو بلده ما لم يقبل مشروع أيزنهاور ويرضخ لحماية الولايات المتحدة على الفور . وأصبح الملك الضعيف العاجز فريسة لضغط شديد من الجانبين ، الأعداء والعناصر الوطنية ، الى حد أن احتفظ بطائرته الخاصة فى حالة استعداد ، حتى يهرب بها اذا لزم الأمر .

غير أن سلطان القصر قد رفع روح الملك المعنوية وساعده في ذلك تلك المناورات التى قام بها الاسطول السادس فى لبنان . واستجمع الملك حسين أطراف شجاعته حين قررت الحكومة اقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وخلع حكومة النابلسى فى العاشر من شهر ابريل . ومنذ ذلك الحين حاول الملك حسين تشكيل عدد من الحكومات ، غير أنه فشل فى محاولاته وتعثر . وبذل القصر جهودا كبيرة لاعادة تنظيم الجيش بصورة تكمل له معاداة العرب ومصادقة أمريكا . تلكم قصة مالوفة مكررة ، غير أن مغزاها سرعان مااتضح أمام القصر وأمام سفارة الولايات المتحدة : لقد أصبح من المستحيل - **بفضل القومية العربية** - أن يخفى أمر المؤامرة الكبرى ضد الأردن وراء ستار مزعوم من الديموقراطية أو الدستور . وهكذا لم يكن هناك مفر من الالتجاء الى الحل الآخر ألا وهو الانقلاب العسكرى السافر الذى لا يختفي وراء ستار .

وهكذا تم وضع الخطة الخاصة بانقلاب ٢٥ ابريل بعد محادثات سرية دارت بين بعثة ريتشاردز وأحد عملاء القصر . وفى السابع عشر من شهر ابريل أبرقت السفارة الامريكية فى عمان الى حكومة الولايات المتحدة ، وبمقتضى هذا الاتصال أعلن ايزنهاور فى نفس اليوم أنه من الممكن - فى ظل بعض الظروف المعينة - (هل كان

يتنبأ بانقلاب ٢٥ ابريل ؟) تطبيق البيان الثلاثي (الذي انقرض كما انقرض طائر الدود) وكذلك المبدأ الخاص بغربي آسيا للدفاع عن الاردن ضد أي هجوم . ولم يفسر رئيس الولايات المتحدة كيف يطبق مبدأ ايزنهاور على الاردن التي لم تتعرض لهجوم من الشيوعيين .

وفي التاسع عشر من شهر ابريل اشتبكت القوات الاسرائيلية مع قوات الاردن وسورية . وفي ٢٢ ابريل ـ وبعد سابق تنظيم وتدبير ـ دخلت القوات العراقية الاردن ، استعداد لانقلاب القصر القادم . ولكي يضفي المتآمرون لونا محليا على هذا الاستعراض الأجنبي المحض ، اختلقوا تمردا عسكريا مزيفا قاموا على اثره بطرد الضباط الوطنيين المخلصين من الفيلق العربي ووضعوا مكانهم رؤساء من رجال البدو « المخلصين » . وتعطفت السفارة الامريكية فمنحت ملك الاردن ١٠ مليون دولار ليشتري بها جنودا من البدو المرتزقين .

قضاء على الديموقراطية

في الثالث والعشرين من شهر ابريل كان كل شيء مجهزا استعدادا للانقلاب المنشود ، وفي هذا اليوم أجبر الملك وزارة الخالدي على الاستقالة وفي الخامس والعشرين من شهر ابريل أعلنت الأحكام العرفية . وفي الفترة ما بين ٢٥ ابريل وأول مايو كان عهد الديموقراطية في الاردن قد انتهى .

وقد أجبروا النابلسي على تقديم استقالته في العاشر من شهر ابريل ، وتم ابعاد علي أبو نوار الى سورية بينما المتظاهرون يتصايحون في عمان منادين « يسقط مبدأ ايزنهاور » . ووضع الزعماء الوطنيون في السجن وأمسك الحياري ـ ضيعة حلوب باشا ـ بزمام الجيش .

وأوقف نشاط البرلمان بعد القاء القبض على بعض أعضائه وتهديد الآخرين بالعنف ، وطرد كبار رجال الجيش الوطنيين الذين

لا ينتمون الى البدو ، وقدم البعض الى المحكمة العسكرية · وأقفلت نقابات العمال ·· بل ولم يسمح للمدرسين بالقيام بواجبهم فى الفصول الدراسية قبل التعرض للرقابة من الحكومة · وبدأت عصابة من القصر تحكم البلاد وتعبث فيهـا فسادا بناء على أوامر السـفير الامريكى ، وكانت تحتمى وراء مدافع أمريكا الرشاشـة ، ووراء دباباتها · وفى أوائل شهر مايو عاد السلام والنظام الى الاردن — عاد النظام الذى فرضه مبدأ ايزنهاور ، وعاد السلام الذى يشيع بين الموتى ·

وهكذا أدت الثورة المضادة رسالتها · ومع ذلك كان الخونة فى الاردن يتوجسون من الشعب خيفة ، خشـية أن يثور على حثـالة القصر · وازاء هذه الاحداث ، رأت مصر وسورية أن الواجب يحتم عليهمـا الاسراع لنجدة الاردن الذى يربطه بهما حلف عسكرى·

وأرادت الولايات المتحدة أن تعرقل كل هذا الاجراء ، وفى الخامس والعشرين من شهر ابريل ، وبمجرد اتمام الانقلاب ، تحرك الاسطول السادس الى شرقى البحر الابيض المتوسط ، وبلغ من سرعة هـذا الاجـراء أن ترك الاسطول ١٥٠ بحـارا فى باريس عجزوا عن اللحاق به ·

لم يراود الامريكيين أدنى شك فى نتيجـة الصراع بين الملك والحكومة الشعبية · وكتبت مجـلة « نيوز آند ويرلد ريبورت » الامريكية (فى عدد ٢٦ ابريل ١٩٥٧) أن الموقف عبارة عن صراع بين الغرب والشيوعيين وأن « الجميع قد أجمعوا على أنه سيكون من حسن الطالع أن يفلت زمام الموقف وتندلع نيران حرب عامة فى منطقة الشرق الاوسط » ·

« سياسة القوة ورجال العصابات » ·

كانت الاحداث تدور بكل بساطة · ولخصت مجلة تايم الموقف حين قالت « آمن الملك الصغير بأن الطريق الوحيـد أمام بقاء الاردن

للملكة يتلخص فى ارضاء الولايات المتحدة وقبول المساعدة المقترحة فى ظل مبدأ ايزنهاور ، ومن ثم نرد علانية بالنفوذ الشـــيوعى ، وشرع يطهر وزارة النابلسى من الثلاث رؤوس الكبيرة التى توالى الشيوعيين » .

وقد يسىء البعض فهم رأينا فى هذه الديبلوماســـية التى تؤمن بالقوة وتستخدم أسلوب رجال العصابات ، ولذلك يجدر بنا أن نرجع الى رأى السلطات البريطانية فى هذه السياسة حتى ندرك مدى الجرم الذى ارتكبته أمريكا فى حق الحرية والديموقراطية .

فلقد كتبت صحيفة «الديلى تلجراف» المحافظة فى أول مايو من عام ١٩٥٧ ، كتبت تقول :

« لم يحدث فى تاريخ الحكم البريطانى للبلدان الاخــــرى أن استخدمت بريطانيا قوات بحرية مسلحة لخدمة أهداف ديبلوماسية بالطريقة التى استخدمت بها أمريكا الاسطول السادس فى شرقى البحر الابيض المتوسط وعلى الذين يتصورون أن عهد الذرة قضى على ديبلوماسية الطرادات البحرية أن يعيدوا النظر من جديد فى هذا الامر صباح اليوم . ان الرئيس ايزنهاور لم يكتف بانتزاع ورقة واحدة من كتاب اللورد بلمرستون ، وانما التهم الكتاب كله » .

وعلقت صحيفة الديلى ميرور ، من كبريات الصحف البريطانية ، على زيارة الاسطول السادس « الودية » لبيروت ، وتساءلت : « من الذى سيصدق هذا الهراء المخادع ؟ » ــ ثم تطوعت بالاجابة ، وقالت: « ما قول دالاس اذا نزل السوفييت فى هاييتى عند جزر الهنـــد الغربية وبينها وبين الولايات المتحدة ما بين بيروت وحدود روسيا من مسافة ؟ هل سيتولى أنها « زيارة ودية محض ؟ » .

واذا أردنا أن نلخص وطأة الاحداث فى الاردن فليس أمامنا الا أن

نرجع الى هذه التعليقات الحذرة التى جاءت فى مجلة « المســائل الدولية » اليوغوسلافية :

« هناك محاولة لاثارة أزمة جديدة فى منطقة الشرق الاوسط ، وهناك أيضا دلائل مزعجة تشير الى النية فى اضعاف موقف الدول العربية ـ وليس هناك ما يثبت عدم وجود هذه النوايا ـ واذا نظرنا الى هذه الاتجاهات على ضوء الوضع الحالى فى السويس لوجدنا أنها بمثابة اجراء مجحف تشعر الدول العربية أنه لن يؤدى الى شىء ، وأنه يتعارض والاهداف التى زعمها أصحاب النفوذ الجديد فى نصوص مبادئهم » ٠

١٠ ـ تمثيل دور الاردن في سورية

وبعد ذلك اختار مبدأ ايزنهاور سورية لتكون الضحية الثانية ٠ وكان لهذا الاختيار مغزاه ودلالته : ذلك لان عظمة سورية ـ في جميع نواحيها ـ يتناقض تناقضا كبيرا مع صغر مساحتها ٠ ولقد أجادت الملاحظة التالية الموجزة في الاشادة الى هذه الحقيقة :

« ربما تعتبر سورية أكبر قطر صغير على الخريطة يكون له هذه الدقة المتناهية في الحجم ، وتلك الضخامة المتناهية في النفوذ » ٠

والتاريخ شاهد على أن هذا البلد قام بدوره خير قيام ، ذلك الدور الذي فرضه على سورية موقعها الاستراتيجي بين ثلاث قارات : آسيا ، وأوروبا وافريقية ، أي انها تقع عند ملتقى طرق العالم ٠

ولم يضعف تطور المواصلات من مركز سورية ، ذلك لان أنابيب البترول (ذلك الوقود الرئيسي لوسائل النقل الحديثة) يمر عبر أراضيها من العراق والعربية السعودية ليصل بعد ذلك الى ساحل البحر الابيض المتوسط حيث تقوم الناقلات بنقله ٠ ليس هذا فحسب ، بل أن الخط الحديدي الوحيد الذي يمتد ما بين تركيا والعراق (والاثنان أعضاء في حلف بغداد) يمر عند الاراضي السورية مسافة قدرها ٣٠٠ ميل ، وبعد ذلك يعبر أراضيها قرابة ٤٥ ميلا ليربطها بالعراق ٠

سورية والعالم العربي

ليس هناك ، في الوقت الحالي ، خطوط حديدية أو طرق ممتازة تمتد ما بين تركيا والعراق لتصل الى ايران ، وليس هناك أيضا خطوط تصل بين ايران وباكستان ٠ وهكذا تمتد الطرق التي تنقل

الامدادات الطبيعية بين الغرب وجميع بلدان الحزام الشمالى (ماعدا تركيا) تمتد عبر سورية لتتجه الى العراق ، أو عبر قناة السويس فى طريقها الى الخليج العربى •

كانت الدويلات التى تدور فى فلك الغرب ، اسرائيل وتركيا وايران ، تحاصر سورية من كل مكان ، ومنذ عام ، تنبأ كاتب أمريكى للمؤلف بأن سورية « ستسحق كما يسحق صندوق ثقاب » كانت سورية صغيرة فى حجمها ضعيفة بمواردها • ولم يسبق لها أن تعرضت لأى تحد خطير كما تعرضت مصر • ومن ثم لم يكن من المتوقع أن تقاوم أى غزو تتعرض له ، ولم يكن من المتوقع أن تثبت سورية أصالة معدنها •

وفى نفس الوقت كان هناك فى سورية وعى شعبى يفوق أى وعى شعبى فى بقية أجزاء العالم العربى • وكان السوريون بمثابةفدائيون يناضلون فى سبيل القومية العربية ، وقد ساروا فى طريق الحياد والاستقلال حتى النهاية • وأخيرا تم تأميم الجيش السورى الذى سبق له أن خضع لسيطرة الغرب عن طريق مؤامرات الشيشكلى وأصبح فى النهاية يتبع ضباطا وطنيين متيقظين من أمثال عبد الحميد السراج •

أما الاجراء الذى لم يتحمله الغرب أكثر من أى اجراء آخر فهو قيام سورية بشراء الاسلحة من الاتحاد السوفييتى ، الى جانب عقد اتفاقيات تجارية ، وترحيب سورية بالمساعدات السوفيتية للتنمية الاقتصادية عن طريق قروض تصحبها تسهيلات فى الدفع • وهكذا خشى الغرب أن تصبح سورية « فترينة » تعرض المساعدات السوفيتية فى غربى آسيا •

كانت كل هذه الظواهر سببا كافيا يدفع الغرب الى اشعال نيران ثورة مضادة فى سورية • بيد أن الغرب ، وخاصة أمريكا ، رأى أنه اذا ما نجحت سياسته فى تمثيل دور الاردن فى سورية فان

مصر لن تقاوم طويلا ، وسيضطر جمال عبد الناصر حينئذ الى التهام الفطائر المتواضعة التى قام بطهيها مبدأ ايزنهاور ٠

اماطة اللثام عن خطة الولايات المتحدة

حاول الامريكيون بادىء ذى بدء القضاء على العهد الراهن فى سورية ٠ وكانت صحيفة « الشعب » المصرية قد كتبت فى يونيو عام ١٩٥٧ تقول :

« يزداد نشاط الامريكيين فى سورية فى الوقت الحالى ، ذلك لأنهم يريدون تنفيذ أغراضهم السياسية هناك ٠ وهم يحيكون المؤامرات لقتل عدد من ساسة سورية الذين يعملون من أجل تدعيم القومية العربية ويرفضون الخضوع للسيطرة الاستعمارية ٠ ويقف وراء هذه المؤامرة الملحق العسكرى الامريكى فى دمشق الذى يتصل على الدوام بالملحق العسكرى الامريكى فى بيروت للتعاون وتنسيق الخطط ٠ ولقد تم الاتفاق بين السفارة الامريكية فى بيروت وبين الحكومة اللبنانية على تسليح العملاء الامريكيين ومساعدتهم على التسلل الى سورية ٠ ويجتمع الملحق العسكرى فى بيروت ـ بصفة مستمرة ـ بساسة لبنان الذين يعملون لحساب أمريكا » ٠

غير أن الحكومة المتيقظة فى سورية ، وكذلك الشعب السورى نفسه ، لم يسمحوا لأحد بأن يبغى عليهم أو يغتصبهم أو يهاجمهم على حين غفلة منهم ٠ وفى أوائل شهر أغسطس عام ١٩٥٧ ، وبعد أن وافقت الحكومة السورية على عروض القرض المقدم لها من الاتحاد السوفييتى ، أميط اللثام عن تلك المؤامرة التى دبرها كبار رجال المخابرات الامريكية ٠

وأعلنت الحكومة رسميا ، فى ١٣ أغسطس عام ١٩٥٧ ، أنها قد اكتشفت مؤامرة مدبرة بتأييد من الولايات المتحدة ، وأن هذه المؤامرة تهدف الى خلع الحكومة الحالية والقضاء على سياستها الخارجية

المستقلة · وقد قام بتدبير هذه المؤامرة خبير أمريكى متخصص فى أعمال التخريب ، ويدعى هوارد ستون، وقد أخذ يعد خطته بالتواطؤ مع بعض السوريين الحانقين الموجودين خارج البلاد · وطلبت الحكومة السورية طرد هوارد ستون واثنين من الديبلوماسيين · كما طردت عشرة من ضباط الجيش واكتشفت علاقة بعضهم بالمؤامرة ، فألقت القبض عليهم · وأعيد تنظيم الجيش والبوليس تحت زعامة قيادة جديدة ·

وفى التاسع عشر من شهر أغسطس أذاع صلاح الدين البيطار ، وزير الخارجية - يومئذ - بيانا اتهم فيه الامريكيين اتهاما صريحا بأنهم استغلوا مبدأ ايزنهاور لتخريب سورية · كما اتهم أمريكا بالشروع فى ضرب حصار اقتصادى حول سورية لمساعدة العناصر التى حاولت خلع رجال الحكم الحاضر · وفى الثانى والعشرين من شهر أغسطس حذرت سورية الدول الاجنبية من التدخل · وفى نفس اليوم نفت وزارة الخارجية السورية ما قيل من أن هناك نشاط شيوعى فى البلاد . وأضافت وزارة الخارجية قائلة : « لقد سبق أن خيل الى أمريكا أن سياسة الحياد الايجابى التى تلتزمها هى سياسة موجهة ضد الغرب . وضد أمريكا نفسها ، والآن تفسر أمريكا هذه السياسة على أنها تعاون مع المعسكر الشيوعى » ·

وضع مبدأ ايزنهاور موضع التنفيذ

والواقع أن وزارة الخارجية الامريكية رأت أن الامر يقتضى منها الاقدام على خطوات ايجابية فورا بعد أن فشلت محاولاتها التخريبية، وبعد أن أميط اللثام عن هذه المحاولات · واتخذت أمريكا من الشيوعية ذريعة · وفى الحادى والعشرين من شهر أغسطس أعلن الرئيس ايزنهاور فى مؤتمره الصحفى أن سورية خاضعة للنفوذ الشيوعى وأن على الغرب أن يراقبها بدقة · وبالاضافة الى هذا

التصريح أخذت الصحف ودور الاذاعة تشن حملة مضادة تندد فيها بسورية ٠

وقال المراسل البريطاني لصحيفـــة « الديلي اكسبريس » أنه اكتشف وصول آلاف من المتطوعين الروس عن طريق البحـــر أو بالطائرات الى سورية للوقوف الى جانبها ٠ هذا بينما ذكرت صحيفة الاوبزرفر أن « الهدوء يسود دمشق وأن القلق يساور السوريين ، من أصحاب الجنــــاح الأيمن ، من جراء البرقيات المحمومة التي تنشرها صحف الغرب » ٠ بل أن مجلة « تايم » الامريكية المتحفظة قد أكدت في اليوم الثاني من شهر سبتمبر عام ١٩٥٧ « هناك بعض المعلقين في الاذاعات الامريكية الذين يضـــعون أيديهم على الزناد ويتشبسون بتلك القصة السياسية المضطربة المتحولة٠ولقد ساهموا في زيادة هذا الاضطراب بأن ادعوا أن سورية أصبحت حاليا آخر دولة انضمت الى الفلك الشيوعي » ٠

وجمح دالاس وزير الخارجية الامريكية واتهم سورية بأنها تحاول القيام بنشاط هدام في البلدان المجاورة لها وخاصة الاردن ٠ وهكذا أعد المسرح لتمثيل مسرحية من أعنف المسرحيات التي شهدتها منطقة غربي آسيا ٠

ومن بين الذين لعبوا دورا رئيسيا في هـذه المسرحية السـفير الامريكي لوي هندرســون الذي قالت عنـــه الصحف المصرية أنه تخصص في اثارة القلاقل وتنظيم المؤامرات ٠ أسرع لوي هندرسون في أواخر شهر أغسطس متجها الى اسطنبول ، واجتمع بعـــدنان مندريس الذي سيتزعم المؤامرة ، واجتمع أيضا بملك الاردن وولي عهد العراق ٠ وبعد أن أدى هذه المهمة عاد الى واشنطن ليقول بأن الموقف « خطير » وفي الخامس من شـــهر سبتمبر أعلنت وزارة الخارجية الامريكية عن ضرورة شحن أسلحة الى الاردن وغيرها من الدول العربيـة بطريق الجو ٠ وحشدت تركيـا جيوشها على حدود سورية واستعدت للتحرك ٠

كانت هذه الاستعدادات الواسعة النطاق تهدف الى تنفيذ هذه الخطة ، وأصبحت ثلاث سفارات أمريكية فى هذه المنطقة قواعد تقوم بوضع الخطوط النهائية للهجوم المزمع شنه ضد سورية . ولقد أجاد ك. ايفانوف تصوير الدور البشع الذى لعبته هذه السفارات اذ ذكر فى مجلة « المسائل الدولية » (ديسمبر ١٩٥٧ ـ موسكو) أن « السفارات الامريكية فى دمشق ، وبيروت ، وأنقره أصبحت مقرا للمؤامرة التى تدبر ضد سورية » ، وأن « لوى هندرسون ، مبعوث دالاس الخاص ، أشرف بنفسه على الاستعدادات الخاصة بالهجوم المسلح الى أن القادة الاتراك ، يساعدهم فى ذلك المستشارون الامريكيون ، قاموا بوضع خطة العمليات الحربية ضد سورية، لدرجة لدرجة أنهم حددوا مواعيد احتلال المدن السورية المختلفة . وأرسلت الولايات المتحدة أسطولها السادس الى شرقى البحر الابيض المتوسط ليؤيد هذه الخطط العدوانية » .

ولكن ، ظهرت فى الافق عدة عوامع جديدة عرقلت الجهود التى تقوم بها الشركة المؤلفة من السادة دالاس وهندرسون . فالروس قد أماطوا اللثام عن هذه الخطة وأرسلوا انذارا الى تركيا والى دول الغرب . وفى العاشر من شهر سبتمبر صرح جروميكو فى موسكو بأن تركيا تنوى شن هجوم مسلح ، وأضاف يقول : « واذا سارت تركيا على هذا النهج فربما وجدت نفسها فى قاع الهاوية » . وفى الحادى عشر من شهر سبتمبر قام بولجانين بتحذير تركيا رسميا :

« عندما تقول الانباء أن الحشود التركية تتجمع عند الحدود بين سورية وتركيا فان السؤال المنطقى الذى يتبادر الى الذهن فى هذه الحالة هو : ما هو شعور الاتراك عندما تتجمع حشود أجنبية على حدودهم ؟ .. ان تركيا ستجر على نفسها ويلات كثيرة اذا ما استمعت لنصح الدوائر الاجنبية التى لا يهمها أبدا صيانة السلام فى منطقة الشرق الاوسط » .

تخريب .. وغزو

فى أوائل شهر اكتوبر أماط خروشوف اللثام عن تفاصيل مؤامرة هندرسون ، وهذه هى التفاصيل :

اثارة قلاقل داخلية فى سورية ، تعقبها اشتباكات على الحدود التركية السورية ، وينتهى الامر بأن تشن تركيا هجوما واسع النطاق . وفى نفس الوقت يقمع الاردن بالسلاح وتقوم تركيا باتمام المهمة . وأردف خروشوف يقول : « واريد منكم أن تسألوا المستر دالاس ، ذلك الرجل الذى يناشد الحكومات دائما : دعوه يقسم بأنه لم يصدر هذه التعليمات الى هندرسون » . وأضاف عابسا « اذا ما اندلعت نيران الحرب كنا أقرب الى تركيا منكم . وعندما تبدأ المدافع فى اطلاق قذائفها ، بدأت الصواريخ فى العبور ، وحينئذ سيكون الاوان قد فات ولا حيلة فى التفكير ... فى حالة الحرب لن تعيش تركيا يوما واحدا » .

وفى نفس الوقت لم تقف اسرائيل مكتوفة اليدين وانما ثابرت على انتهاج سياستها العدوانية . وانتهزت حكومة اسرائيل كل فرصة أتيحت لها ـ بعد فشل الهجوم الغربى على السويس عام ١٩٥٦ ـ للاشتراك ـ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ـ فى مؤامرات الغرب ضد استقلال العرب . وهكذا لم تخف الحكومة الاسرائيلية أنباء تأييدها لسياسة الولايات المتحدة ، وشنت حملات عسكرية ضد الاردن وجاراته العربيات فى شهر ابريل من عام ١٩٥٧ بعد الانقلاب الذى نظمته الولايات المتحدة فى الاردن .

وأعقب ذلك تصريحات عدوانية من جانب اسرائيل ، أصبح من المؤكد بعدها أنها مرتبطة ـ بالتحركات العسكرية على طول خط الهدنة بين سورية واسرائيل ، وأنها تتمشى مع المؤامرة الامريكية التى تهدف الى تدبير هجوم يقضى على استقلال سورية .

ولقد أوضحت وكالة تاس فى ١٩ اكتوبر ما يثبت نوايا اسرائيل العدوانية • ووردت فى البيان الذى أذاعته وكالة تاس حقـــائق لا يتطرق اليها الشك ، فقد جاء فى هذا البيان :

« ان الخطط الخاصة بالهجوم على سورية ، كما جاءت فى محادثات المبعوث هندرسون بتركيا ، توضح أن اسرائيل ـ التى أكد حكامها اســـتعدادهم للهجوم على ســـورية ـ ستشترك فى الاشتباكات العدوانية • وفى مقابل هذا حصلت اسرائيل على وعد بمساعدتها من أجل الاستيلاء على شبه جزيرة سيناء ، ووادى نهر الاردن ، وخليج العقبة التى تريد اسرائيل تحويله الى بحيرة » •

وفى الخامس من شهر اكتـــوبر كان القمر الروسى الاول يدور حول الكرة الارضية رافعا روح الروس المعنوية ، ومحطما معنويات أمريكا • والآن تحولت أنظار العالم الغربى بأكمله الى شىء آخر ، وأصيب بصدمة هائلة . وشعر بالهزيمة • لم يعد فى اســـتطاعته الآن التفكير فى أية مغامرة يقوم بها فى أى مكان • وأقام العـــالم «ميزانا من الرعب» كمـــا قال نهرو • وكتبت « نيو ستتسمان » تقول : « تتزايد الدلائل التى تشير الى أن الروس يسبقون الغرب ويجرون بأسرع مما يجرى » •

موقف مصر الجرىء

وأكثر من ذلك ـ وهذا أمر له أهميته ـ أن مصر وقفت موقفا جريئا • ومن الطريف أن الصحف الامريكية أخذت تقرظ جمال عبد الناصر فجأة ، غير أن جمال عبد الناصر لا يمكن أن يضلله أحـــد أبدا • وقد صرح فى مقابلة صحفية بأن السياسة الامريكية « تحاول فى الوقت الحالى دق اسفين بين مصر وسورية • وفى الآونة الاخيرة أخذت الصحف الامريكية تنشر مقالات تمتد حتى فيها ، لأول مرة منذ أجيال ، على زعم أننى عبرت عن عدم رضـــائى عما يدور فى

دمشق • ان هذه لعبة قديمة ، وأنا أعرفها جيـــــدا » • وجاء فى نفس التصريح : « أحب أن أؤكد من جديد أن مصر ستقف الى جانب سورية ـ دون قيد أو شرط ، ودون ما تحفظ ـ لتواجه التطورات التى أدت الى هذا الضغط الذى تتعرض له سورية الآن • وستقف مصر وراء سورية بمواردها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، فى تلك المعركة التى نعتبرها معركتنا ومعركة القومية العربية بأكملها» •

واستطرد جمال عبد الناصر يقول : « ان الجرم الوحيد الذى ارتكبته سورية ، فى نظر أمريكا ، هو أنها لن ترقص على الانغام الامريكية ولن تتلقى الاوامر من الولايات المتحدة • ولو فعلت سورية ما فعله الآخرون لما تعرضت لهذا الضغط من كل جانب بحجة أن سورية خاضعة للنفوذ الشيوعى وأن دمشق على وشك الدوران فى فلك موسكو » •

وأدى هذا التغير فى الاوضاع الى تغــير فى موقف بعض الدول العربية الاخرى • وفى نهاية شهر سبتمبر كان الملك سعود ، فى دمشق • وأكد عاهل السعودية العربية « اننى على يقين ••• من أن سورية لا يمكن أن تكون مصدر تهديد لأى قطر آخر ••• وسأندد بأى عدوان تتعرض له سورية ، واننى أعلن ، عــلى الجميع ، بكل صراحة ووضوح واخلاص ، بأننى سأحارب مع سورية أو أى قطر عربى شقيق ، ضد أى معتد يهدد استقلال سورية أو أى بلد عربى آخر ، مهما كان مصدر هذا العدوان » • وانتهج العراق ولبنان هذا السبيل وأكدا **أنه لا يمكن أن يهاجم قطر عربى أى بلد عربى آخر** • وأثبتت القومية العربية أنها أقوى من الاحلاف ، كما قال نهرو •

وصار من الممكن ، فى ظل هذه الظروف ، أن تقوم الامم المتحدة بمعالجة المشكلة السورية ولم يكن فى مقدور أمريكا أن تعارض هذا الإجراء بعد أن أميط اللثام عن خططها • وبات من المتوقع أن تقف جميع الامم الغير المنحازة وراء سورية • وكان العرب متحدين •

ورأت الاغلبية في الجمعية العامة أن سورية هي الطرف المعتدى عليه ، وبناء على اقتراح من اندونيسيا . وافق كل طرف من الطرفين على عدم فرض مشروع قراره وعلى أن « يعيش الطرفان معا في وئام وأن يحققا الصلح بينهما » .

وخفت حدة التهديد الذى تعرضت له سورية ، وصار الغزو السافر من الامور المستبعدة ، بالرغم من احتمال حدوث نشاط هدام . لم يكن فى مقدور مبدأ ايزنهاور أن يحطم مذهب الحياد : والذى تحطم هو مبدأ ايزنهاور نفسه . وهكذا تدعمت قاعدة الوحدة العربية وجرت دماء جديدة فى عروق القوى التى لا تنحاز الى أحد ، وأصبحت هذه القوى أشد صلابة مما كانت .

١١ ـ الخطر المزعوم

أخذ الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة يرسمون في الشهور الاخيرة خطوط سياسة تهدف الى اخضاع العرب لأحلاف عسكرية بزعم مناهضة الشوعية · **الخطر الشيوعي يهدد تلك المنطقة التي تعتبر منطقة حيوية في نظر العالم ، وقد لا تستطيع الحكومات المحلية في هذه المنطقة مواجهة ذلك الخطر ! وهناك أيضا أخطار داخلية تتمثل في العناصر الشيوعية التي قد تخرب الاوضاع الحالية لتجعل الطريق معبدا أمام السوفييت ليحكموا في النهاية الشعوب العربية ومن أجل انقاذ الشعوب العربية من هذه الاخطار رسمت خطة حلف بغداد ، ومن أجل انقاذ الشعوب العربية من هذه الاخطار عرض مبدأ ايزنهاور · ذلك لأن أخطار الشيوعية في هذه المنطقة قد تجر الولايات على شعوبها وعلى شعوب أخرى عديدة !**

هكذا أراد الذين نصبوا من أنفسهم منقذين للعالم العربي من التهديدات المزعومة ، هكذا أرادوا أن يدخلوا في روعنا · اذ يقول زعيمهم ايزنهاور في رسالته الى الكونجرس يوم ٥ يناير عام ١٩٥٧ :

« فاذا ما فقدت شعوب هذه المنطقة استقلالها ، واذا ما سيطرت عليها قوى معادية لا تؤمن بالحرية ، فان ذلك سيكون كارثة تلحق بالمنطقة وتلحق بعدد كبير من الامم الاخرى الحرة التي قد توشك حياتها الاقتصادية على الاختناق ·

وسيتعرض غربي أوروبا للخطر وكأنه لم يكن هناك مشروع مارشال أو منظمة حلف شمال الاطلنطي ··· وستفقد منطقة الشرق الاوسط في هذه الحالة الاسواق التي تعتمد عليها في اقتصادياتها ··

وهناك أيضا عوامل أخرى تتخطى العوامل المادية فالشرق الاوسط قد شهد مولد ثلاث ديانات كبرى : الاسلام ، والمسيحية ، واليهودية ·· ولقد أراد حكام روسيا منذ القدم أن يسيطروا على منطقة الشرق الاوسط · هكذا أراد القياصرة ، وهكذا أراد البلاشفة أيضا » ·

ان الصورة التى رسمها ايزنهاور هنا صورة كئيبة مظلمة حقا ، واذا ما كان هناك خطر فانه يتمثل فى هجوم « دولة استعمارية » من الشمال على شعوب غربى آسيا المحبة للسلام فان الامر سيهم الجميع بطبيعة الحال · ولكن ، لسوء حظ الغرب ، لم يكن لهذا الخطر الذى تصوره أى أساس من الواقع ، وهكذا تنهار الاسس التى يبنى عليها نظريته ، تنهار وتسقط على الارض · ويجدر بنا أن نحلل فى ايجاز ليس له وجود للمبصرين ·

وأحرى بنا أن نذكر القارىء منذ البداية بما قاله جون فوستر دالاس فى عام ١٩٥٦ أمام لجنة العلاقات الخارجية فى تقرير له عن الشرق الاوسط · يقول دالاس أن الروس « لم يحرزوا تقدما كبيرا فى منطقة الشرق الاوسط فى السنوات الاخيرة وأن الخطر الروسى أخف وطأة من خطر التعايش السلمى المنافس » · (مقتبس من حديث السناتور فولبر فى ٢٤ يناير عام ١٩٥٧) · وأحب من القارىء أن يلتفت الى هذه الكلمات : « **خطر التعايش السلمى المنافس** » !

فى ذلك الحين كان أنتونى ايدن يقوم بمهمة تصوير الشيوعية فى صورة شيطان ، غير أن الامريكيين كان لهم رأى آخر · يجب أن يفقد ايدن امبراطوريته ليستولى عليها الامريكان ! وهكذا لم يكن المستر دالاس نفسه يخاف من الشيوعية ·

وفى نفس الوقت تم التوقيع على اتفاقيــــة الاسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا · وتطورت العلاقات بين الاتحاد السوفييتى ودول

غربى آسيا • وموجز القول أن كل شيء قد حدث وتم ليقول عنه الامريكيون بعد ذلك أنه دليل على وجود خطر شيوعى • والحقيقة التى يجب أن نلتفت اليهـا اذن **هى أن الدول الاستعمارية لم تشر الى وجود خطر شيوعى الا حين شاع أمامها الامل فى الشاحنات الداخلية وبعبارة أخرى : أى حركة قومية معادية للاستعمار فى غربى آسيا ستبدو كجزء من خطر الشيوعية العالمية فى نظر الدولة التى ستخسر من جراء هذه الحركة القومية •**

يفسر لنا هذا الموقف تلك الظاهرة التالية التى بلغها الغموض : لم يحاول الغرب فى المعركة ضد ما يسميه بالاستعمار الشيوعى أن يؤيد الوطنيين ، وبمعنى آخر كان الغرب يناهض القومية تحت ستار مناهضته للشيوعية •

غير أننا نستطيع مع ذلك أن نفسر هذه المتناقضات على أنها جاءت نتيجة لذلك الميل الطبيعى الذى يجعل عين المرء تتفتح على الحقائق حين يواجه بها • من أجل ذلك ، يجدر بنا أن ندرس طبيعة هذا « الخطر الشيوعى » بطريقة موضوعية قبل أن نتحدى بطريقة مقنعة نوايا دالاس الطيبة •

هناك ، كما يقول الامريكيون ، مظهران مختلفان لهذا التهديد الشيوعى • يتمثل المظهر الاول فى التهديد العسكرى من جانب الاتحاد السوفييتى • ويتمثل المظهر الثانى فى قيام الاحزاب الشيوعية فى داخل البلدان بأعمال الهدم والتخريب •

ولكى نفهم المظهر الاول ، نجد لزاما علينا أن ندرس الأهداف العامة للسياسة السوفيتية الخارجية كما تطبق فى الشرق العربى • بالرغم من صحة ما قيل من أن القياصرة كانوا يطمعون فى هذه المنطقة ، (كما طمعت فيها دول أوروبا الاستعمارية) الا أن عوامل جديدة قد ظهرت بنشوب ثورة اكتوبر ، فلقد انكمش الاتحاد السوفييتى الى داخل حدوده بهذا اعترف المؤرخون الغربيون أنفسهم

« الشيطان السوفيتى »

ان الاتحاد السوفيتى لم يقتصر على نبـــذ فكرة الامبراطوريات فحسب ، بل انه أعلن عطفه على جميع الحركات المناهضة للاستعمار ، بل ان نشوب ثورة اكتوبر نفسها جددت الأمل فى نفوس المناضلين فى الاقطار الاسيوية ، وفى الفترة ما بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية ،بل وبعد الحرب العالمية الثانية كف الاتحاد السوفيتى عن تشجيع المعارك المناهضة للاستعمار ، بصورة نشـطة ، وخيب هذا الاجراء آمال بعض الماركسيين الذين يؤيدون مبدأ « الثـــورة الدائمة » ٠

وبعد عام ١٩٤٦ ، انسحب الاتحاد السوفيتى من غربى آسـيا وانتهج سياسة « ارفعوا أيديكم عن ٠٠٠ » ، كما اعترف بذلك وولتر لاكير ذلك الاسرائيلى الالمانى المولد ، المعادى للشـيوعية والخبير فى شئون غربى آسيا ٠ وجاء هذا الاعتراف فى دراســـته « الشيوعية والقومية فى غربى سيا » ، يقول وولتر لاكير :

« لاشك أن عدم وجود السوفيت فى منطقة الشرق الاوسط قد يجعلهم يربحون أسهما طيبة فى الفترة ما بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٢ اذ صار فى مقدور رجال الدعاية من السوفيت والشيوعيين أن يشير الى ذلك التناقض الصارخ بين سياسة موسكو التى تؤمن بمبـــدأ ارفعوا أيديكم » وسياسة المستعمرين الغـــربيين الذين يريدون « تنظيم » المنطقة وجرها الى أشكال متنـــوعة من الكتل « الدفاعية المريبة » ٠ (وولتر لاكير ٠ فى مجلة نيـــوز أند ويرلد ريبورت الامريكية عدد أغسطس عام ١٩٥٦) ٠

غير أن الاتحاد السوفيتى لا يمكن مع ذلك أن يقف من غربى آسيا موقف الذى لا يبالى ٠ وليس لروسيا على وجه التقريب أية مصالح اقتصادية تعود عليها بالنفع من هذه المنطقة ٠ والاتحاد السوفيتى ،

كما اعترف ايزنهاور بنفسه ، لا يعتمد على بترول غربي آسيا ، غير أن سلامته تأثرت تأثرا كبيرا بالتطورات الاخيرة • وكثيرا ما صرح كبار الخبراء العسكريين في الدوائر الغربية بأن منطقة غربي آسيا تهم الغرب لدرجة كبيرة اذا ما أراد أن يشن هجوما ضد الاتحاد السوفيتي ، كما صرح أيزنهاور بأنه ليس هناك في العالم ما هو أهم من هذه المنطقة من الناحية الاستراتيجية وهكذا ، عندما بدأ الغرب ، منذ أوائل عام ١٩٥٣ ، يبذل المحاولات لتكوين كتلة عسكرية في المنطقة على غرار حلف الاطلنطي ، لكي تبتلع هذه الكتلة جميع الاقطار الجنوبية التي ستقيم فيها أمريكا قواعدها ، أحس الاتحاد السوفيتي بشيء من الانزعاج ، غير أن الاتحاد السوفيتي انتظر حتى أذيع نبأ تأليف حلف بغداد رسميا ، وحينئذ أعلن احتجاجه وصرح بأنه لن يقف مكتوف الايدي ازاء التطورات التي تشهدها منطقة غربي آسيا •

وعبرت « برافدا » عن هذا الموقف في التاسع عشر من شهر يناير عام ١٩٥٥ ، فقد جاء في مقالها الافتتاحي : « انها معاهدة عسكرية وهراء أن تقول تركيا والعراق أنهما يريدان تدعيم الامن في المنطقة •• ويجدر بمنظمي هذه الكتلة وعملائها أن يتذكروا أن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يقف جامدا ازاء مؤمرات الدوائر الامريكية العدوانية وشركائهم ممن يقعون على حدود الاتحاد السوفيتي » •

وهناك ، في الواقع ، ما يثبت أن تكاليف حلف بغداد دفع روسيا الى اعادة النظر في سياستها ازاء منطقة الشرق الاوسط • ولنقتبس مما قاله لاكير مرة أخرى : « اهتمت موسكو بهذا الحلف الدفاعي اهتماما يفوق ما توقعه الغرب في ذلك الحين •• لقد كان هذا الحلف كما اتضح فيما بعد ، نقطة تحول في سياسة السوفيت ازاء منطقة الشرق الاوسط » •

« سياسة السوفيت الخارجية »

فى السابع عشر من شهر ابريل عام ١٩٥٥ ، نشرت صحيفة « ازفستيا » بيانا لوزارة الخارجية السوفيتية عن الموقف فى الشرق الاوسط ، ولم يلتفت أحد الى هذا البيان بالقدر الكافى فى ذلك الحين ، بالرغم من أنه أعلن عن تغير سياسة السوفيت ازاء غربى آسيا ، وجاء فى صدر البيان أن الموقف فى غربى آسيا قد تدهور الى درجة كبيرة ، وفى نهاية البيان أعلن الاتحاد السوفيتى أنه سيفعل كل شىء لتوثيق علاقاته ببلدان المنطقة • وفى نفس الشهر ظهر العدد الاول من مجلة خبراء السوفيت فى الشرق ، وفى الشهر التالى دعت هذه المجلة الرسمية الى ابداء مزيد من الاهتمام بالدراسات الشرقية •

ماذا كان هدف السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى عندما واجهت ذلك الحلف العسكرى الغربى فى المنطقة ؟ يطالعنا هنا اختلاف (من حيث النوع) بين أسلوب الكتلتين الكبيرتين : اختلاف له أهميته الحيوية بالنسبة لشعوب هذه المنطقة • **رأى الغرب أن المشكلة هى كيف يواجه ذلك التحدى القومى المتزايد لكى يحتفظ بمصالحه الاستعمارية التى ترعرعت فى ظرف قرن أو يزيد** • وكانت الاحلاف العسكرية وسيلة لتحقيق هذه الاهداف • ولم يكن الخطر الذى واجهه الاتحاد السوفيتى الا جزءا من أخطار كثيرة مماثلة •

أما الاتحاد السوفيتى فرأى أن الامر يتطلب — قبل كل شىء ابعاد هذا الخطر الذى يهدد سلامته • واذا كان النظام الاستعمارى القديم (الذى يرمى الى اخضاع الشعوب) قد انتهى ليحل محله نظام شبه توسعى يهتم بتأليف كتل عسكرية عدوانية تهدد الاتحاد السوفيتى وتتحكم فى شعوب المنطقة ، **فان سياسة الاتحاد السوفيتى نفسها لم تقتصر على الاحتجاج على مثل هذه الاحلاف ، وانما أخذت**

تؤيد أيضا ـ بكل ما أوتيت من قوة ـ هـــذه البلدان التى تنزعم الثورات الوطنية ضد الاستعمار ٠

وفى غربى آسيا لم يقتصر الاحساس بخطر الكتل العسكرية على مصر وحدها ، وانما تعداه الى غيرها من البلدان٠ لقد نفخ فيهم مؤتمر باندونج روح الشجاعة وصمموا على محاربة هذا الاستعمار الجـديد بأن رفضوا رفضا قاطعا الانضمام الى تلك الاحلاف ٠ وهكذا ظهر فى الأفق أســـاس جديد للصــــداقة بين الاتحاد الســوفيتى وبلدان غربى آسيا بصرف النظر عن نظمها الاجتماعية ـ صداقة تعود بالنفع على الطرفين ٠ وعندما أراد الغرب اجبار هذه البلدان على الدخول فى أحلافه العسكرية بأن رفض أن يبيعهم الســـلاح ، وجد العــرب والسوفييت أن من صالح الطرفين التوقيع على عقود للمبادلات ٠

ومرة أخرى حاول الغرب خنق المنطقة اقتصــــاديا ، فما كان من الاتحاد السوفييتى الا أن عرض عليها مساعداته ٠ وعندما انسحب المرشدون الغربيون من قناة السويس أسرع المرشدون السوفييت للوقوف الى جانب مصر ٠ وأخيرا ، عندما هـــوجمت مصر ، أرسلت موسكو انذاراتها التى وضعت حدا لهذه الحرب ٠

وبهذه الروح احترمت حقوق سورية ، وهددت روسيا بالقيــــام باجراء مضاد لمواجهة المعتدين ٠ وأراد العرب أن يتحدوا وأن يستقلوا وفى نفس الوقت أبدى الاتحاد السوفييتى رغبته فى أن يسود السلام هذه المنطقة ، وأن تظل بمنأى عن « الحرب الباردة ٠ »

ويجب أن نتذكر أن الاتحاد السوفييتى لم يحاول ، فى جميـع هذه الحالات ، تفادى الغرب وتنظيم الشرق العربى خدمة لأغراضه الخاصة ٠ وهذه الحقيقة لها أهميتها اذاما أردنا أن نتفهم سياســـة الاتحاد السوفييتى ٠ ولو أراد الاتحاد السوفييتى أن يثير المتاعب فى المنطقة لأغراضه الخاصة ، أو لازعاج الغرب ، أو لضمان وجـود

ثورات دائمة لما حاول التشاور مع الدول الكبرى لتحقيق الاستقرار فى المنطقة .

« مبدأ شبيلوف

يجدر بنا أن نذكرأن مبدأ شبيلوف هو الأساس الذى ارتكزت عليها سياسة السوفييت ازاء غربى آسيا . ويستهل هذا المبدأبيانه بالايمان بأن فى مقدور الدول الكبرى حل مشاكل المنطقة عن طريق مناقشات تدور بينها . ففى الثانى عشر من شهر فبراير عام ١٩٥٧ أعلن شبيلوف « أن الحكومة السوفييتية تؤمن بأن من المستطاع - عن طريق الجهود المشتركة للدول الكبرى - تحقيق سلام دائم للمنطقة . وتمشيا مع هذا المبدأ تقترح حكومة الاتحاد السوفييتى أن تتعهد حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، وحكومة بريطانيا ، وحكومة فرنسا ، التزام المبادىء التالية فى سياستها تجاه منطقة الشرق الأوسط :

« أولا - صيانة السلام فى الشرقين الادنى والاوسط عن طريق حل المسائل المتنازع عليها بالوسائل السلمية والمفاوضات .

ثانيا - عدم التدخل فى شئون الشرقين الأدنى والأوسط الداخلية ، واحترام سيادة هذه البلدان واستقلالها .

ثالثا - نبذ أية محاولات لضم هذه البلدان الى كل عسكرية تشترك فيها الكبرى .

رابعا - تصفية القواعد الأجنبية وسحب الجيوش الاجنبية من أقطار الشرق الأدنى والشرق الأوسط .

خامسا - عدم تزويد بلدان الشرقين بالاسلحة .

سادسا - بذل جهود مشتركة لتنمية اقتصاديات الشرقين الادنى والاوسط دون أية شروط سياسية أو عسكرية أو غيرها مما يتعارض مع كرامة هذه البلدان وسيادتها . »

وهكذا يتضح (حتى لو استبعدنا فكرة النوايا الحسنة للاتحاد السوفييتى - وهو شىء يعترف به مؤلف الكتاب استنادا الى تاريخ الاتحاد السوفييتى ازاء المسائل الدولية) ان الاتحاد السوفييتى كان ينتهج سياسة تهدف أول ما تهدف الى استبعاد الخطـــر الذى يهدد المنطقة الواقعة جنوبا حدوده • وتم تنفيذ هذه السياسة على شكل تشجيع الحكومات الوطنية فى المنطقة والاشـــارة دائما الى ضرورة عقد اتفاق بين الدول الكبرى لحل مشاكل غربى آسيا •

ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من العناصر الحرة ، ومن بينهـــا الاشتراكيين البريطانيين ، اعترفت بتعذر الوصـــول الى حل دائم لمشاكل غربى آسيا دون مساهمة السوفييت فى وضع هذا الحل • ففى الثالث والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٥٧ أعلن أنورين بيفان أن اخضاع المنطقة للنفوذ الامريكى يعد مقامرة خطرة لان هذا الاجراء يؤدى الى تصادم الدولتين الكبريين يوميا • وأردف بيفـان يقول :

« ومع ذلك ، فهناك طريق للخلاص • يجب استدعاء الاتحـــاد السوفييتى الى مائدة الاجتماع ليشترك مع جميع الدول التى يعنيها الامر للخلاص من أزمة غربى آسيا قبل أن تلتف الشباك حولناجميعا دون أن نجد مخرجا • وليس من الضرورى ، بل وليس من التعقل فى شىء ازاء المرحلة الراهنـــة أن ندخل فى التفاصـــيل لحل أزمة غربى آسيا • وانما المهم أن يشترك الاتحاد السوفيتى فى التوقيع على الاتفاقيات • »

وحبذ نهرو ، بدوره ، فكرة عقد مؤتمر للاقطاب لبحث مشاكل الشرق الاوسط •

فاذا ما سلمنا بحق الاتحاد السوفييتى فى الاهتمام بغربى آسيا لم يصبح هناك محل للاعتراض على الاجراءات التى أقدم عليهـا فى هذه المنطقة • وهناك على كل حال حقيقة واضحة لا تقبل الشك :

لم يكن هناك خطر سوفييتي يتهدد الشرق الاوسط ويتطلب ظهور مبدأ أيزنهاور أو يبرر وجوده • ويكفينا أن نقتبس بعض الاقوال التي جاءت في مناقشات لجنة الشئون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي والسؤال التالي والجواب عليه مسجلان بتاريخ ١٤ يناير ١٩٥٧ :

السناتور فولبرايت : سيدى وزير الخارجية ، هل هناك دليل جديد هام يثبت لنا أن الاتحاد السوفييتي يزمع شن هجوم مباشر على منطقة الشرق الاوسط عامة ؟

دالاس ، وزير الخارجية : ليس هناك دليل على ما أعلم :

والآن وقد ثبت أن الخطر السوفييتي المباشر ما هو الا أسطورة ، باعتراف الامريكيين أنفسهم ، يبقى أمامنا ذلك الاتهام الغامض الذى يقول أن هناك خطر شيوعى غير مباشر فى بعض البلدان • وقد استغل هذا الاتهام أكبر استغلال فى العام الماضى ، وبمقتضاه حدث انقلاب فى الاردن ، وبمقتضاه أيضا كانت هناك محاولة لغزو سورية الى جانب المحاولات المستمرة لتخريب هذه البلدان • وحتى قبل اذاعة مبدأ أيزنهاور — دالاس ، أخذت الدول الاعضاء فى حلف بغداد ، ولجنته المعادية للنشاط الهدام ، تصرخ معلنة وجود خطر شيوعى فى الداخل •

لقد صوروا مشكلة الشرق الاوسط بحيث يعتقد السذج أنها مشكلة شيوعية • **هل تصلح هذه المنطقة للشيوعية ؟** يجدر بنا هنا للشرق العربى •

وأحرى بنا أن نناقش هذه المسألة وأن ندرس البناء الاجتماعى أن نذكر ما قاله جواهر لال نهرو الذى درس التاريخ جيداً كما درس العوامل التاريخية • عبر نهرو عما قاله تيتو من قبل ، وأعلن عام ١٩٥٧ أن بلدان غربى آسيا تمر فى تطورها الاجتماعى بمرحلة

الاقطاع ومن ثم لا يمكن أن تكون الشيوعية مشكلة كبرى بالنسبة للمنطقة وليس الأمر مجرد بناء اجتماعى . ذلك لأن مكان الدين فى عقول الشعوب فى هذه المنطقة يعوق الشيوعية ، والأمريكيون يعرفون هذه الحقيقة جيدا .

« أسطورة الخطر الشيوعى »

قد يكون من المفيد أن نذكر ما قاله أحد رجال الاعمال الامريكيين الذين تهمهم المنطقة الى حد كبير ، ويدعى هارولد ب . مينور ويعمل بشركة أرامكو ، وقد كان رئيســـا لقسم الشرق الاوسط بوزارة الخارجية سابقا ، فى خطبة للمستر هارولد بتاريخ ٢٥ مارس عام ١٩٥٥ جاءت هذه العبارات :

« ويجدر بى أن أذكر وأنا أتناول موضوع الشيوعية أنه ليس هناك بقعة فى الشرق الاوسط بأكمله موالية للشيوعية عن عمد ، وعن طيب خاطر . صدقونى ان هذه منطقة لاتتجه بطبيعتها الى الشيوعية . فهناك نفور جوهرى ، وهوة أساسية بين المجتمع الاسلامى والمسيحى فى الشرق الأدنى من جهة والشيوعية من جهة أخرى . »

والى جانب هذا الاطار العام ، نجد أن كل بلد ، على حدة ، قد اتخذ اجراءات ضد الأحزاب الشيوعية المحلية وأن الحكومات هناك عبرت عن استنكارها بعض الحركات الشيوعية ، تلك الحكومات التى ظن الغرب أنها ستصطبغ بالصبغة الشيوعية . ولقد وقف جمال عبد الناصر من الشيوعية موقفا حازما كما اتضح فى تصريحاته المتعددة للمراسلين الاجانب ، غير أنه كان يرى أن مشكلة الشيوعية الداخلية شىء وأن الخطر السوفييتى شىء آخر . واتفق معه فى هـــذا الرأى زعماء العرب الآخرون . لقد كان الاتحاد السوفييتى ، باعتبــاره دولة ، صديقا للعرب ، وليس لهذه المسألة دخل بالشيوعية . ومن ناحية أخرى كانت الحاجة ماسة الى صداقة السوفييت لتأكيد الفكرة

القومية لدى العرب · وصارت أسلحة السوفييت أسلحة مصرية فى أيدى المصريين ، ولم تكن أسلحة شيوعية على الاطلاق · وكانت هذه الأسلحة كفيلة بصيانة حقوق مصر وحمايتها من أعدائها ·

ولقد تحدث جمال عبد الناصر مع مراسل مجلة « لوك » وسأله المراسل : هل يرى أن الشيوعية خطر داخلى ؟ فأجاب بصراحة : «ان الأحزاب الشيوعية المحلية ستعمل دائما للوصول الى مراكز السلطة وهذه الاحزاب تطالب ، من بين ما تطالب به ، بالملكية الجماعية ·غير أنى ما زلت أنظر الى أهدافها باعتبارها أهدافا خطرة · ولهذا يعتبر وجود حزب شيوعى فى مصر أمر ينافى القانون · غير أن شعبنا ليس فى حاجة الى حب الشـــيوعية لكى يشـــعر بالعطف والود · »
ولم تقتصر معاداة جمال عبد الناصر للشيوعية على مجرد الكلمات · ففى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٧ صدرت أحكام ضد المتهمين بالنشاط الهدام من عملاء الغرب والشيوعيين على حد سواء · وحكم على ١٣ شيوعى بالسجن لفترة تتراوح بين عام وسبعة أعوام كما صودرت جميع ممتلكات الحزب الشيوعى فى مصر ·

« قومية ويقولون أنها شيوعية »

لم يشك خروشوف أو ايزنهاور فى معاداة جمـــال عبد الناصر للشيوعية · غير أن جمال عبد الناصر كان يعرف ما هو الهدف من الاتهامات التى تقول أن له ميول شيوعية · وفى الثامن والعشرين من شهر يونيه عام ١٩٥٧ تحدث جمال عبد الناصر فى التلفزيون وقال ان سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط تحول الوطنيين الى شيوعيين ·

« ان الشيوعية لا تنتشر فى منطقة الشرق الاوســـط · غير أن الامريكيين يصرون على أن القومية انما هى شيوعية ، وهم يحاولون الوقوف ضد هذه القومية على زعم أنهم يقفون فى وجه الشيوعية ·

انهم سيحولون الوطنيين الى شيوعيين ، ذلك لأن القـــومية حركة صريحة ، أما الشيوعية فحركة سرية • انهم يهاجمـــون القوميين ويحاولون الوقوف ضد القومية • وتكون النتيجة أن تتحول القومية الى حركة شيوعية سرية •• ان انتهاج السياسة القومية قضى عـلى الشيوعية فى مصر • »

ورأى الغرب فى مصر ، كما رأى فى أى مكان آخر ، ان الحركة القومية هى الخطر الاساسى الذى يجب وصمه بوصمة الشيوعية • لقد سارت القومية وعدم الانحياز جنبـــا الى جنب ورأى الغرب أن وجود هذه الاتجاهات فى غربى آسيا خطر ، خطورة الشيوعية فى أى مكان آخر •

وباسم مناهضة الشيوعية تم خلع الحكومة الوطنيـــة بالاردن • ووجهت الاتهامات الى النابلسى ، الوطنى الحر ، لأنه وقف فى وجه مبدأ أيزنهاور • لقد كان الحزب الشيوعى فى الاردن محظورا قبـل وقوع الانقلاب •

وفى ٦ يوليو عام ١٩٥٧ كتب بول جونسون فى « نيو ستتسمان آند نيشن » :

« منذ شهرين ، قام الملك حسين بخلع أول حكومة يتم انتخابهـا بطريقة ديموقراطية • وبرر هذا الاجراء بأن اختلق قصة مؤامرة حمراء مدبرة • وسيتم إثبات الادلة فى سلسلة من المحاكمات التى أعدت بمهارة ، ويؤسفنا أن نقول أن تفاصيلها لا تلقى من يصدقها غير سفارات الغرب فى أمريكا • أما الحكومة الغـــير الشرعية التى أعقبت حكومة النابلسى فلم يكن يمثلها غير رؤساء القبائل البدوية وقلة من رجال الأعمال وأغلبهم من الغرباء الاجانب ، وهكذا وقع المحظور •

ولنقتبس مرة أخرى من أقوال بول جونسون :

« تستطيع فى الأردن أن تشاهد حاليا ظاهرة من أدق الظواهر التي شهدها منتصف القرن العشرين وأقصد بها ذلك التطور المنتظم الواضح الذى يتحول الشخص عن طريقه من قومي الى شيوعى • » منذ انقلاب الاردن • ولقد حدثت أزمةأغسطس وسبتمبر عام ١٩٥٧

وتعتبر سورية البلد الذى تعرض لأعنف الاتهامات بالشيوعية باسم مناهضة الشيوعية فقد قيل أن الحكومة السورية وقعت تحت رحمة الموالين للشيوعية واليساريين ، وأن هذه العناصر قد تسللت الى صفوف الجيش • ويجدر بنا أن نذكر أنه بعد فشل الهجوم المزمع توجيه من تركيا ودوران القمر الروسى حول الارض كفت الصحف الغربية عن دعايتها السابقة وكأن سورية قد ابتعدت عن الشيوعية

أما حقيقة الموقف فى سورية ، وفى غيرها من البلدان فهو أنها كانت تكافح بعنف لتدعم حريتها بالرغم من أن اسمها أدرج فى ملفات وزارة الخارجية الامريكية الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط باعتبارها بلدا يسترعى الاهتمام ، وقيل عنها أنها حكومة شيوعية وهى الحكومة القومية • كان شكرى القوتلى راعى القومية العربية على رأس هذه الحكومة ، وكانت تتألف من الجبهة القومية ، والقوميين الذين عرف عنهم عداؤهم لفرنسا وحزب البعث الاشتراكى الصغير• أما الجيش فكان يتألف من طائفة من الضباط الوطنيين الذين يؤيدون الحكومة تأييدا كاملا • وقد أتيحت للكاتب فرصة التحدث مع كبار الزعماء السوريين • والى القارىء ما ذكروه للكاتب بشأن المشاكل المشار اليها سابقا :

الرئيس شكرى القوتلى :

« لقد لطخوا حكومتنا وشعبنا كما لطخوا برلماننا وجيشنا المخلص واختلقوا الأقاصيص عن نزول طائرات سوفييتية نفاثة ووصول متطوعين وسفن حربية وصواريخ • ولقد زجوا بنا فى المعسكر السوفييتى لا لشىء الا لأننا رفضنا دخول معسكرهم • هذه هى

الحقيقة التي تكمن وراء حملتهم .. انهم يقولون أننا أصبحنا دولة من دول « الستار الحديدي » غير أنهم يهدفون في الواقع الى ارجاعنا الى الستار الاستعماري الذي يجعلهم مرة أخرى سادة يسلبون مصادر الثروة في دولتنا ، ويتركون لشعبنا فتات موائدهم . »

رئيس الوزراء صبري العسلي :

« ان اتهامنا بالشيوعية والسوفيتية ليس مجرد أكذوبة وانما افتراء على العقيدة الاسلامية والقومية العربية .. لسنا مع الشيوعيين ، ولسنا مع المستعمرين ، لسنا مع الغرب ولسنا مع الشرق . اننا نؤمن بالحياد الايجابي ونرحب بالوحدة القومية التي تجمع بين افريقية وآسيا .. اننا نحيي في رئيس وزرائكم زعامته ونسير وراء هذه الزعامة . »

أكرم الحوراني :

« ألم يقذفوا في وجهكم وفي وجه حكومة نهرو بنفس الاتهامات، والواقع أن الاستعمار يعتبر القومية العربية أشد خطرا من الشيوعية وأن يهدد الأسلاب التي يستولى عليها المستعمرون في غربي آسيا . »

بوظو زعيم المعارضة :

« ان الاتهامات التي تقول ان سورية وقعت فريسة للنفوذ السوفييتي وأنها دخلت المعسكر الشيوعي أكاذيب ظاهرة للعيان ، وهي أكاذيب يوجهها المستعمرون والصهيونيون ضد سورية . انها قصص خرافية اختلقها العدو ليستغل بلدنا ويسيء الى قضيتنا . »

السراج :

ليس لروسيا مكان في خططنا الدفاعية . ونحن العرب نقوم بتنظيم استراتيجيتنا ونحارب في معاركنا بأنفسنا دون أن يساعدنا أحد من الخارج . واذا ما طلب العرب مساعدة من أمريكا أو روسيا

قائما يجعلون من أنفسهم حينئذ فريسة « للحرب الباردة» اننالانطلب عونا عسكريا سوفيتيا ، ونحن أيضا لا نتلقى شيئا من هذا القبيل .»

وكثيرا ما تكررت مثل هذه الآراء فى بيانات أخـــرى . وقال نهرو رئيس الوزراء لبول جونسون :

« ارجع الى خطبى وسترى أننى أعادى الشيوعية أكثر من معادلة نورى السعيد لها . » وقال السكرتير العام لوزارة الخارجية فى الثانى والعشرين من شهر أغسطس « سبق لأمريكا أن نظرت الى الحياد الايجابى باعتباره موجها ضد سياسة الغرب ، وضد أمريكا نفسها ، والآن تفسره أمريكا على أنه تعاون مع المعسكر الشيوعى . »

ولم يقتصر الأمر على هذه البيانات التى أدلى بها هؤلاء الزعماء ، فلقد توصل المراقبون المحايدون الى نفس النتائج بوسائلهم الخاصة . وجاء فى « الأوبزرفر » يوم ٢٢ أغسطس عام ١٩٥٧ :

« ان الاقاصيص التى تروى أن الحكومة السورية حكومة شيوعية وأن البلد يدور الآن فى الفلك السوفييتى ، أو أن هذا البلد قد صار قاعدة عسكرية سوفييتية ، انما هى أقاصيص كاذبة . وقد أصبح فى مقدور المتطرفين السوريين استغلال هذه الاقاصيص ليـؤكدوا دعواهم بأن الغرب يدبر الخطة للقضاء على استقلال سورية ، خاصة وأن الغرب اختلق نفس الاكاذيب ضد مصر حين أراد أن يبرر غزوه لقناة السويس . »

بل ان « نيوز آند ويرلد ريبورت » الامريكية كتبت تقــول فى الثلاثين من أغسطس عام ١٩٥٧ :

« لن تكن هناك أبدا فى سورية نسبة كبيرة من الشيوعيين »

ونشرت مجلة « الايكونومست » الاسبوعية برقية لمراســـلها فى دمشق جاء فيها أن تهمة الشيوعية أبعد ما تكون عن الحقيقة ، بالرغم من أن أحد كبار الكتاب الذين يجلسون فى لنــــدن كتب فى نفس العدد أن خطر الشيوعية فى سورية حقيقة ماثلة .

لهذا لم يكن نهرو متحيزا حين قال فى مؤتمر صحفى عقد فى ٢١ أكتوبر « فى هذه المنطقة وفى باقى أجزاء آسيا لا يحـــدث أبدا أن تقترب الشيوعية أو ما هو مضاد للشيوعية من القومية الماثلة هناك . . وان القول بأن سورية أو أى بلد عربى آخر هو بلد شيوعى قـــول مبالغ فيه الى حد كبير . »

وهكذا سيطرت على الغرب مخاوف خيالية ليس لها ظـــــل من الواقع ، غير أن جنون الغرب كان يسير على منهج مرسوم . وبمرور الزمن تحولت المسئولية التى تقع على عاتق الرجـــــل الأبيض الى مسئولية تقع على عاتق الرجل الحر . وفى سورية جـــاءت هذه المسئولية فى صورة محاولة لمنح « الحرية » للبلاد من جديد بالصورة التى تم بها هذا الاجراء فى الاردن أو فى جواتيمالا .

كتبت مجلة تايم فى عددها الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر عـــام ١٩٥٦ : « ترددت فى الاسبوع الماضى ، فى واشنطون وفى باريس ، كلمة جواتيمالا كلما دار الحديث حول سورية ــ ومعنى هذا أن هذه الدوائر قد تشجع أى حكومة موالية للغرب على الوصول الى مراتب السلطة . »

« سلام على جميع الملوك »

نظر العرب الى مسألة الخطر الشيوعى الوشيك الوقوع ـ كما صوره الغرب لهم ـ نظرتهم الى أقاصيص ألف ليلة وليلة • غير أن الغرب لم يعدم الاصدقاء فى هذه المنطقة • فلقد كان للدول الاستعمارية قدم راسخة فى الشرق العربى ـ لحين من الوقت ـ بفضل الاساليب الاستعمارية التى تتبعها بعض البلدان ، وبفضل سياسة بعض العصابات الاقطاعية الرجعية فى بلدان أخرى حتى تضمن لنفسها البقاء فى الحكم • وهناك أيضا سبب آخر وهو اعتماد كثرة هذه الدول على الغرب فى الميدان الاقتصادى •

انهم جميعا يشتركون فى خوفهم من الشعب • فلو استطاع الشعب أن يؤكد سيادته انتهت عقود البترول الاستغلالية ، ووضعت خاتمة للقواعد العسكرية والاستغلال الاقتصادى ، وهى جميعا أشياء تفرضها دول غرب أوروبا ، وتفرضها الولايات المتحدة • ولو استطاع الشعب أن يؤكد سيادته لتبددت آمال الملوك من ذوى الثروات الخيالية ، والسادة الاقطاعيين • الذين يحصلون على رسوم البترول ويستغلون الاهالى ويستنزفون كل قطرة من دمائهم • هناك اذن وحدة فى الهدف صريحة واضحة ، وهناك اذن جبهة مشتركة تقف لتواجه القومية العربية ، والسيادة العربية ، والوحدة العربية • ويحاول المستعمرون ، وأذناب المستعمرين استغلال هذه الجبهة ليحمى كل طرف مصالح الآخر ويحميه من أى هجوم • ان أى تهديد يتعرض له أى ملك هو حجة تحتج بها واشنطن لترسل أسطولها السادس الى هناك ليقوم بمهمته •

غير أن مثل هذاالزواج الذى يتم بين المستعمرين وعملاءالمستعمرين لا ينفع الشريكين طويلا ، وانما يسىء اليهم فى نظر طوفان القومية المتزايد ، وفى نظر الثورة الشعبية • وفيما يتعلق بالغرب نجد أن تواطؤه مع الرجعيين المتطرفين فى كل قطر من الاقطار انما ينجم عن سياسة قصيرة المدى تجاه مصالحه فى الخارج • فمن اليسير على سبيل المثال ، التعامل مع رجل من أمثال نورى السعيد ، غير أن هذا التعامل ، فى نفس الوقت ، أقصر طريق الى كراهية الشعب له • فاذا حدث وأتخذ أسلوب طويل المدى ، واذا ما تم الاتفاق على بقاء الغرب فى مكان آخر على حساب آلام الوطنيين لكان الأجدر بزعماء بريطانيا وفرنسا وأمريكا أن يرعوا القوى والأنظمة الديمقراطية فى هذه البلدان •

وبالمثل ، يكون من الأيسر على الرجعيين المحليين الذين يريدون البقاء فى مرآكز الحكم أن ينضموا الى العناصر المناهضة للاستعمار وأن يخضعوا باستمرار للضغط الشعبى • ومع ذلك يتزايد نفوذ الاحتكارات التى تؤثر على سياسة الحكومات الغربية ، وفى الوقت نفسه يفتقر الحكام المحليون الى النظرة البعيدة ، ويتحد الفريقان ويحاولان ايقاف عجلة التاريخ التى لابد لها من الدوران • ولا شك أن هذه الحقيقة تزيد من عبء المهمة الملقاة على عاتق الشعب العربى ، غير أنها ـ فى الوقت نفسه ـ تنفخ فى نضالهم روحا حية فائرة •

ولكى نتفهم البواعث التى تجعل بعض الدول العربية تقف وراء الغرب يجب أن ندرس كل دولة على حدة ، وذلك لاختلاف البواعث فى كل حالة •

« تركيا ، الدولة الغربية »

لنبدأ بأكبر دعامة يرتكز عليها الحزام الشمالى ، لنبدأ بتركيا التى احتجت على انسحاب القوات البريطانية من منطقة القنال عام ١٩٥٤

قائلة أن هذا الاجراء يهدد سلامتها ويضعف أمنها • سنجد أن هناك عوامل متعددة تدفع حكامها الى موالاة الغرب • انهارت الامبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى وانكمشت تركيـــا الى صورتها الحالية ولم يكن هناك أمل فى أن تمتد حدودها بعيدا مرة أخرى ذلك لأن الدول الاستعمارية الكبرى ، التى حصلت على حق الوصاية من عصبة الأمم ، لن تسمح لأية دولة بمشاركتها فى هذا الحق اللهم الا فى ظل السيوف والرماح •

غير أن تركيا كانت دولة مدحورة ، ولم يساعدها وضعها عـــلى اخافة أحد • وأدى هذا الى ظهور كمال باشا الذى سلط الأضواء على الداخل وحاول تحقيق نهضة اقتصادية تشرف عليهـــا الدولة وترعاها • من أجل هذا لم يكن من أهداف سياسته الخارجية معاداة أحد • ولكن لم تكن هناك فلسفة سياسية اقتصادية متناسقة تقف وراء مجهودات كمال باشا ، ومن ثم لم يحقق الكثير مما أرادو بموته أكد رد الفعل التركى وجوده داخل البلاد •

وأهم الحقائق التى تميز هذه الطبقة عن غـيرها ذلك العجز الذى يقعدها عن السير بالاصلاحات حتى نهاية الشوط ، وأحلامها عـن ظهور امبراطورية ، فى شكل ما ، لتساعدهم على تغطية عجزهم فى المجال الاقتصادى • وهكذا لم تستطع تركيا أن تقرر بسهولة الى أى فريق تنضم فى الحرب العالمية الثانية • وحاولت أن تحتفظ بعلاقاتها مع الطرفين وأخذت تخطب ود هتلر وود تشرشل فى نفس الوقت• فاذا ما انتصر الالمان استطاعت تركيا أن تحصل على بعض الأراضى فى الجنوب الشرقى ، ولهذا كان غضب تركيا على هتلـر كبيرا فى البداية • ولكن ، عندما بات من المؤكد أن الحلفاء سينتصرون لا محالة أعلنت تركيا الحرب على ألمانيا • وكانت تســـعى ، من وراء هــذا الاجراء ، الى الاحتفاظ بمركزها كشريك متواضـــع فى امبراطورية الحلفاء •[٩]

هذا الاجراء الذى أشرت اليه هو الذى يكمن وراء السياسة الخارجية لتركيا فى هذه الأيام · انها تتحمس لحقوق الغرب أكثر مما يتحمس الغرب نفسه لحقوقه · وهناك بعض الأدلة المعروفة التى تشير الى هذا المرض الذى ألم بسياسة تركيا الخارجية :

رحلات جلال بيار فى أنحاء العالم العربى للسعى الى تأييد حلف بغداد ـ تأليف هيئة أواسط آسيا الحرة فى أنقرة (والتى يرعاها عدنان مندريس نفسه) لتوجيه سيل من الدعاية المضادة للسوفييت ـ تأييد بريطانيا فى موقفها من قبرص ـ مهاجمة الأقلية اليونانية الموجودة بتركيا لمساعدة تركيا ـ محاولة تدمير سورية باستمرار والتلويح بخلق متاعب على الحدود ـ عدم الرضى عن انسحاب بريطانيا من مصر ـ مهاجمة مصر فى اجتماعات حلف بغداد ـ الاشتراك فى هيئة المنتفعين من قناة السويس ـ مصادقة اسرائيل ومعاداة الاتحاد السوفييتى ·· ألخ ·· ألخ ··

كان خضوع تركيا للغرب خضوعا سافرا كشف عن نواياها للعرب بصورة لا يتطرق اليها الشك ، وكانت تهدف من وراء هذا الى اجتناء الثمار التى يحصل عليها كل وسيط · وهكذا كلما عبرت تركيا عن حسن نواياها ازاء العرب ، توقع العرب أن تقوم تركيا باجراء جديد مضاد لهم · والفقرات التالية المأخوذة من صحيفة « الأمة » العراقية (بتاريخ ١٧ مايو ١٩٥٢) توضح لنا موقف العرب من تركيا · علقت الصحيفة على « مهمة » تركيا التى تتلخص فى ابداء « حسن نواياها » فقالت :

« لا شك أن ساسة تركيا يعرفون جيدا أن تركيا كانت أول بلد مسلم يعترف باسرائيل ويتبادل معها التمثيل الديبلوماسى ، وأنها البلد الشرقى الوحيد الذى عارض القيود التى فرضتها الحكومة المصرية على الملاحة فى قناة السويس · وعلى هؤلاء الساسة أن يتذكروا أن الاتراك عارضوا فى انسحاب بريطانيا من منطقة قناة

السويس على زعم أن هذه الخطوة تؤثر على الاجراءات الدفاعية التى تحمى الأراضى التركية من أى غزو روسى ٠ ولا شك أنهم يذكرون أيضا أن تركيا انضمت الى دول الغرب الاستعمارية الثلاث (فرنسا وبريطانيا وأمريكا) ليفرضوا على البلاد العربية ما أسموه « بنظام الدفاع عن الشرق الاوسط ٠ »

ان ذكريات الامبراطورية العثمانية ما زالت ماثلة فى أذهان العرب كما هى ماثلة فى أذهان الأتراك ٠

لماذا انتهجت تركيا هذه السياسة المنحرفة التى لا تخدم مصالحها الحقيقية على الاطلاق ؟ ليس هناك ضمان يحميهـــا أكبر من ذلك الضمان الذى تحققه مصادقتها لجيرانها ٠ ان أى سياسة معادية للسوفييت تعرض تركيا لأخطار جمة (لم يكن خروشوف مبالغا فى قوله عندما صرح ـ فى عام ١٩٥٧ ـ بأن تركيـا لن تعيش يوما واحدا) وأى سياسة موالية للغرب فى غير صالح العرب تحرمها من صداقة أهل الجنوب ٠ ان هـــذا التجاهل للعوامل الجغرافية والسياسية فى سياسة تركيا الخارجية يتضح على ضوء الحقـائق الاجتماعية والاقتصادية هناك وعلى ضوء التطورات الاقتصـــادية الأخيرة ٠

كانت تركيا على شفا الافلاس فى السنوات الأخيرة ٠ وذكرت مجلة تايم الأمريكية فى عام ١٩٥٥ أن « اقتصاد تركيا اقتصاد هزيل وأن الحكومة التركية على شفا الافلاس »٠ هذا بالرغم من طوفان رأس المال الأمريكى الذى تدفق على البلاد فى أعقاب الحرب العالمية ٠ والواقع أن رأس المـال الأجنبى كان ينتزع على الدوام بعض الامتيازات من الحكومة التركية٠ ففى بادىء الأمر أصر أصحاب رأس المال الأجنبى على تغيير سياسة كمال باشا السابقة وعـلى تحقيق المساواة بين رأس المال الأجنبى ورأس المال الوطنى ٠ وفى عام ١٩٥٤ تطرفت الجمعية الوطنية التركية وصـــدقت على قانون

بتشجيع المستثمرين الأجانب » وقد اقترحت هذا القانون بعثة خاصة من المستثمرين الأمريكيين ٠ وهكذا أصبحت تركيا « جنة المستثمرين » (كما جاء فى مجلة فورشن عدد يونيه عام ١٩٥٤) وسيطر الأمريكيون على بترولها وأصروا على أن تهتم الحكومة بالتنمية الزراعية ، وفى الزراعة ليس هناك فائض يبيعه المزارع اللهم الا اذا حالفه الحظ برقعة كبيرة من الأرض ، وأغلب هـــذا الفائض يتمثل فى الطباق الذى يشتريه الأمريكيون بلسعر الذى يريدون ٠

وتفاقمت الأزمة الاقتصادية وازداد اعتماد الحكومة على الولايات المتحدة الأمريكية عندما نفذت المشروعات العسكرية الضـــخمة ٠ وتملك تركيا فى الوقت الحالى أضخم قوة مسلحة فى المنطقة ، قوة قد لا تستطيع أن تصمد يوما واحدا أمام الجيش الأحمر ، غير أنها تضاعف من مشاكل تركيا الاقتصادية ، وتجعلها أكثر اعتمادا على المستعمرين (أنفقت تركيا ألف مليون ليرة فى الدفاع سنة١٩٥٥ وهذا المبلغ ضعف أى مبلغ أنفق سنويا بعد الحرب العالمية الثانية)٠

تضافرت هذه العوامل مع عدم استقرار الحكومات الموالية للغرب فى المنطقة لتجعل تركيا ترحب بشخصية مريبة مثل لوى هندرسون وتوافق على خطة الاعتداء على احدى الجارات البريئة التى لا تشكل خطرا على الاطلاق ٠

أما الباعث الذى يدفع العراق (١) الى الخضوع للغرب فيختلف عن بواعث تركيا الى حد ما ٠ ان المجموعة التى تحكم العراق ، والتى يتزعمها نورى السعيد - ضيعة الغرب - تريد أن تحمى ملك الهاشميين الذى تعرض لتهديدات خطيرة من الشعب العراقى بعد نجاح الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ٠ هذا الى جانب وجود النظـــام الاقطاعى ٠

---

(١) الحديث هنا عن العراق قبل ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ ٠

« منافسة وهمية »

ويؤدى هذا العامل الحاسم الى ظهور منافسة وهمية على مصر من أجل قيادة الشعوب العربية • اذ يريد نورى السعيد وأتباعه أن يجعلوا من بغداد ، لا القاهرة ، وطنا روحيا للعرب • واذا كانت مصر تريد أن يتحد العرب ، فان نورى يريد أن يتحد ملوك العرب • هذا الاتحاد الأخير يلائم الغرب ، كما أن الغرب يلائمه أيضا • وكما قال بول جونسون فى « نيو ستتسمان » أن الشعار المقلوب للثورة الفرنسية هو الذى يتحكم فى المنطقة « نسالم كافة الملوك ونحارب كافة الشعوب » •

لقد تحالف الغرب مع القوى الرجعية ، كما تحالف مع الاقطاع ومع النظام الملكى ، وتمثل هذا كله فى اشتراك حكومة نورى السعيد فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط وفى جعل بغداد مقرا لحلف بغداد • وهكذا انحاز العراق ، فى عهد نورى ، الى الغرب وجعله هذا الانحياز يشن حملة قوامها الكراهية والعنف ضد الدول الغير المنحازة ، خاصة مصر • لقد تدخل نورى السعيد وتدخلت باكستان حتى يسحب الغرب تمويله لمشروع السد العالى • ويحاول « صوت مصر الحرة » دائما أن يبذر بذور الشقاق فى الدول الغير المنحازة وأن يقوم بنشاط هدام فى سورية ، واشترك الملك فيصل فى مؤامرة هندرسون للهجوم على سورية عام ١٩٥٧ •

ان قلق نورى السعيد من موقف مصر وسورية وسياسة عدم الانحياز يعبر عن خوفه من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التى تشهدها هذه البلاد باستمرار • ذلك أن نورى السعيد يعتمد فى سلطانه السياسى على كبار ملاك الأراضى فى الجنوب ، وهؤلاء الملاك يجتمعون — لفترة لا تتجاوز نصف الساعة فى برلمان صورى ليوافقوا على القرارات التى يمليها عليهم نورى السعيد • وفى مقابل هذا

يتيح لهم نورى السعيد فرصة الاستفادة من جميع مشروعات التنمية الزراعية . وصار فى مقــدور هؤلاء الرجال أن يشتروا الآلات ويستخدمونها فى الزراعة ويطردوا المعدمين أو المزارعين الى المدن . وكان الهدف من مشروعات الرى الضخمة فى الشمال تكوين جبهة من طبقة المزارعين المحافظين ليخلقوا فى الشمال شياخات مشابهة لشياخات الجنوب .

وأصبح نورى السعيد دكتاتورا مستبدا بفضل تحالفه مع الغرب فى سياسته الخارجية ، واعتماده على كبار المزارعين فى الشئون الداخلية . وكتب خبير أمريكى معروف معلقا على مشكلة الدفاع عن الشرق الأدنى يقول : « ان نجاح حلف بغداد يعتمد الى حد كبير على الاستقلال الداخلى فى البلدان المشتركة فيه ، وقد نجحت حكومتا دولتين _ وهما العراق وايران _ فى الامساك بزمام السلطة عن طريق اسكات المعارضة القوية » . (مجلة « المسائل الخارجية » عدد يناير ١٩٥٦ نيويورك) . ولنرجع الى بول جونسون مرة أخرى : « لقد أخضع نورى السعيد العراق عن طريق القوة ، ولا أحد يستطيع أن يقف فى وجهه . انه نفسه من مخلفات الامبراطورية العثمانية ، ولقد تلقى تعليمه الأولى على يد مدربين ألمان . وبالرغم من أنه عربى الجنسية تقريبا الا أنه تبنى القضية العربية لا لشىء الا لأن الأتراك لم يقدروه . انه لا يخفى احتقاره لمواطنيه . وهو يحكم البلاد وكأنها فى ظل أحكام عرفيــــة ، فالأحزاب السياسية _ بل والنوادى السياسية _ محظورة ، والحكومة تسيطر على الصحف ، وهناك عدد مجهول ملقى فى غياهب السجن ، يقول نورى أنه يبلغ ٤٤ بينما تقول بعض الأنباء أنه يرتفع الى عشرة آلاف شخص . ولقد قابلت عراقيين عذبوا فى سجون نورى ، وكانت الطريقة التى عذبوا بها مشابهة لطرق التعــــذيب الفرنسية فى سجون الجزائر » . (نيو ستتسمان . عدد ٦ يوليو عام ١٩٥٧) .

وأيد نورى السعيد تأييدا كاملا فى تلك السياسة التى اعتمدت على وسائل القمع والكبت ، وكلما اقتضى الأمر أن يواجه نورى أى تهديد تجمعت القوات البريطانية فى قبرص • غير أن الضغط الشعبى بدأ يتزايد بالرغم من هذا كله • وكثيرا ما شهدت مدينة بغداد ثورات شعبية عنيفة ، وأحيانا كانت هذه الثورات تجبر الحكومة على تعديل سياستها • وهكذا عندما هوجمت مصر ، اضطر نورى السعيد نفسه الى معارضة بريطانيا ليحمى نفسه • ومرة أخرى ، عندما أميط اللثام عن مؤامرة تركيا ضد سورية ، اضطر العراق الى الاعراب عن امتعاضه من هذه المؤامرة • غير أن هناك فى العراق قوة هائلة تتمثل المدرس ، والمحامى ، والخبير الفنى ، والسياسى المتعض • وأدت مشروعات التنمية التى أقدم عليها نورى الى حرمان مزيد من الفلاحين من أراضيهم ، والى زيادة عدد العمال العاطلين ، وكانت النتيجة تفاقم الصراع ، وهو صراع لم يكن هناك أمل فى حله بطريقة سلمية • وربما كان فى مقدور الغرب أن يفعل هذا ، بيد أن القطار قد فاته •

وطالبت المعارضة فى العراق بقطع الروابط التى تربطه بالغرب • وفى شهر يناير من عام ١٩٥٦ أرسل زعماء العراق التماسا الى الملك فيصل ، وكان هذا الالتماس انعكاسا للرأى العام العراقى المعتدل • « يتطلع شعب العراق الى تغيير ملموس فى الموقف العام بعد أن أصبح من الواضح أن سياسة الحكومة العراقية كانت سياسة خاطئة كما يتطلع العراق الى سياسة تهدف الى تحقيق الوحدة العربية فى جو خال من المؤامرات الاستعمارية • وفى الوقت الذى اتجهت فيه معظم الدول العربية الى هذا الهدف ، صار العراق عاملا معوقا يقف فى طريق الجهود التى تبذلها الدول العربية ، كما صار جهازا لتفتيت الكتلة العربية • ولو لم يكن هناك ارهاب ، ولو لم تفرض بعض القيود على الشعب لما استطاعت حكومة نورى السعيد أن تربط

العراق بأحلاف عسكرية أجنبية ، ولما استطاعت أن تعزل العراق عن الكتلة العربية » ٠

ولم تخف بقية الدول العربية عداءها لسياسة نورى السعيد ٠ وفى يونيه عام ١٩٥٥ طلب من وزير زراعة العربية السعودية أن يعلن عن زيارة نورى السعيد لاسطنبول ٠ فما كان منه إلا أن قال : « دعوه يذهب الى أى مكان يشاء انه ألعوبة في يد الاستعمار ، وهو عدو لكل وطن عربى » ٠

١٣ ـ الجمهورية العربيةالمتحدة ونضال المستقبل

فى أوائل هذا العام أعلنت مصر وسورية نبأ قيـــام الجمهورية العربية المتحدة وبذلك أحرز تاريخ المعركة من أجل الوحدة العربية ، وضد الوحدة العربية تقدما هائلا بفضل القوى الشعبية ٠

كان هناك هدوء فى الميدان السياسى بغربى أوربا بعد أن أطلقت روسيا قمرها الصناعى ، وان دل هذا الهدوء على شىء فانما يدل على استعداد الغرب « لتجميد » هذا الجزء من العـــالم مع الاحتفاظ بارتباطاته الحالية ٠ وأهم ما يميز هذه الارتباطات تشديد قبضة الغرب على المناطق الغنية بالبترول ، وجعل الأردن ـ ذات الأهمية الاستراتيجية ـ بلدا مستعمرا ٠ أما المنطقة الغير المنحازة فكانت قاصرة على حدود سورية ومصر ٠

غير أن هذا الهدوء قد يكون من نوع الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وقد يكون مقدمة لهجوم يشنه الغرب الذى صار أشبه ما يكون بالنمر الجريح الذى يتربص الفرصة ليثب وثبته ٠ لم ينجح حلف بغداد فى تحقيق أغراضه كاملة ، وكذلك لقى مبدأ أيزنهاور نفس المصير ٠ وأخطأت وزارة الخارجية الأمريكية الهدف حين أعدت الخطة للمغامرة السورية ٠

وفى داخل هذا الاطار أقدم شعب مصر وشعب سورية على هـــذه الخطوة التاريخية التى جعلت كل بلد يتخـــلى عن كيانه المستقل ليمتزج الجميع فى جمهورية جديدة واحدة ٠ كان هذا الاجراء ثمرة للجهود التى استغرقت أكثر من عام من جانب البلدين ـ خاصـــة سورية ـ للالتقاء فى صعيد واحد ، وتكوين الوحدة ٠ والذى حدث أن مجلس الوزراء السورى ســـبق له أن قرر ـ فى ٥ يوليو عام

١٩٥١ ـ تأليف لجنة وزارية تقوم باجراء مفاوضات مع مصر من أجل تكوين اتحاد فيدرالى. وفى ١٧ يوليو أذاع زعماء سورية مشروع ميثاق ينص على المبادىء الأساسية لهذا الاتحاد أو الوحدة . غير أن اجراء الاندماج تأخر بسبب الأزمة التى أصابت هذه المنطقة ، غير أن تيار الوحدة الكامن كان قويا يعرف هدفه . لقد كانت سورية أكبر مؤيد لمصر أيام التهديد الذى تعرضت له من الغرب ، كما كانت أكبر مؤيد لها أيام المحنة .

وبعد أن عاد السلام الى ربوع سورية فى أكتوبر عام ١٩٥٧ ، انعقدت فى دمشق دورة مشتركة لأعضاء البرلمان السورى وأعضاء مجلس الأمة المصرى ، وطالبوا ـ بالاجماع ـ بأن تقوم حكومتا البلدين باجراء مفاوضات على الفور للتصديق على الوحدة المقترحة بين البلدين . وفى أوائل فبراير عام ١٩٥٨ تم التصديق على هذه الرغبة التى عبر عنها البرلمان المشترك ، فلقد صدر بيان مشترك لجمال عبد الناصر والقوتلى أعلنا فيه نبأ قيام الجمهورية العربية المتحدة .

الاستفتاء على الوحدة

وفى ٥ فبراير أذيع ١٧ بندا كأساس للجمهورية الجديدة . وفى ٢١ فبراير تم التصديق على الوحدة رسميا بفضل الاستفتاء الشعبى فى البلدين ، وانتخب جمال عبد الناصر أول رئيس للجمهورية العربية المتحدة . وفى ٦ مارس تم اعلان الدستور المؤقت وأذيع فيه طابع الجمهورية الجديدة ، كما خول هذا الدستور للسلطة التشريعية مزيدا من السلطات . وفى نفس اليوم تم تعيين أربع نواب لرئيس الجمهورية وهم : عبد اللطيف البغدادى ـ عبد الحكيم عامر ـ أكرم الحورانى ـ صبرى العسلى . كما أذيعت أسماء الوزراء ، وعين محمود فوزى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة والسيد صلاح البيطار

وزيرا للدولة . وبحلول منتصف شهر مارس كانت جميع دول العالم تقريبا قد اعترفت بالجمهورية الجديدة .

ثم انضمت اليمن (سكانها ٤ مليون) الى الجمهورية غير أنها لم تتحد اتحادا كاملا ، غير أنها سارت فى سياستها الخارجية ، مع القاهرة .

ان أهمية هذا الحدث التاريخى أمر غير مبالغ فيه . لقد وحد هذا الحدث أكثر من نصف سكان العالم العربى، ومن ثم يعتبر خطوة هامة فى سبيل تحقيق هدف العرب فى الوحدة العربية . لقد رأى العرب أن التقسيم المزيف للامة العربية انما هو ثمرة للسيطرة الاستعمارية وليس هناك سياسى عربى يستطيع أن يعارض فى هذه الحقيقة . وهكذا انطلقت قوى جديدة من عقالها باتحاد مصر وسورية واليمن ، وتدعمت مطالب العرب لتحقيق الوحدة العربية ، هذه الوحدة التى ستنقذ الشعب العربى الذى خضع للاستغلال والفقر والذى حرم - عدن قرون - من حقه فى الاستمتاع بالحرية والرخاء .

وهناك ظاهرة لها دلالتها وهى أن الجمهورية الجديدة انما تتألف من تلك الدول العربية التى تزعمت المعركة من أجل التحرر من النفوذ الاجنبى ومن أجل القضاء على الاستغلال الداخلى . ولقد عبرت حكومة مصر ، وحكومة سورية ، باختلاف أشكالهما ، عن أهداف الغالبية العظمى ، وجاء هذا التعبير فى صورة السياسة الخارجية لكل من الحكومتين ، وفى صورة الاصلاحات الداخلية التى كانت تتم فى كل اقليم . وفى مصر ، وفى سورية ، تم وضع أساس الحياد العربى ، وسياسة عدم الانحياز . لقد اتحدت الدولتان وساهمتا بنصيب كبير من أجل تحقيق السلام العالمى ، والتقدم الدولى ، ذلك لأن البلدين قاما بتنفيذ روح باندونج ، وأكدا حقهما

فى التعامل مع الدول الاجنبية على أساس المساواة ، والنفع المتبادل، كما نددا بكل ضغط أيا كان نوعه •

سارت الحكومتان على هذا النهج فى سياستهما الخارجية من أجل استعادة هيبة العرب القومية ، غير أن هذه الجهود جعلت الصراع يدور بينهما وبين المصالح العالمية ، ومن ثم تعذر عليهما الانصراف الى المشاكل الداخلية انصرافا كليا • ومع ذلك كانت هناك خطوات ناجحة فى هذا الميدان •

ولقد استعرض جمال عبد الناصر فى الآونة الاخيرة المكاسب التى حققتها ثورة ١٩٥٢ ، وذلك فى حديث له مع مراسل اذاعة كولومبيا ، وجاء هذا الاستعراض على ضوء المثل العليا التى تطلعت اليها الثورة :

« ١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار • **أعتقد أن هذا الهدف قد تحقق •**

٢ ـ القضاء على الاقطاع • **أعتقد أننا قطعنا شوطا كبيرا فى سبيل تحقيق هذا الهدف** • لقد حددنا ملكية الاراضى ووزعنا جزءا منها على الفلاحين وقمنا بتنظيم العلاقة بين المستأجرين وملاك الاراضى على أساس من الحرية والمساواة •

٣ ـ التخلص من سيطرة رأس المال على الحكومة • **وأعتقد أنه ليس فى مقدور أحد أن يدعى أن راس المال يسيطر اليوم على الحكومة •**

٤ ـ تحقيق العدالة الاجتماعية • **لقد أخذنا نعمل ، وما زلنا نعمل ، من أجل اقامة مجتمع يسوده الرخاء •**

٥ ـ تكوين جيش وطنى قوى • **لقد قطعنا شوطا كبيرا فى سبيل تحقيق هذا الهدف •**

٦ - اقامة حياة ديموقراطية سليمة . **وقد استطعنا أن نتخذ بعض الخطوات فى سبيل هذا الاتجاه »** .

وأهم من هذه الانتصارات الملموسة ، ذلك الشعور الذى دب فى نفوس المواطنين وجعلهم يحسون بأن من حقهم أن يتطلعوا الى مستقبل أفضل ، وأن الاقطاع شر ، وأن المجتمع الذى يتخذ لنفسه صورة من صور الاشتراكية هو الهدف الذى لا محيد عنه . (قال جمال عبد الناصر لمؤلف الكتاب : « أعتقد أنك ستكون مصيبا فى قولك حين تصف هدفنا بأنه يرمى الى تكوين مجتمع اشتراكى قوامه ، كما هو الحال فى بلدكم ، الدولة التى تحقق الخدمات للشعب») .

وكذلك أحس حزب البعث الاشتراكى فى سورية بالحاجة الى تحقيق الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، والواقع أن شهرة جمال عبد الناصر فى العالم العربى ، وحب الشعوب العربية لزعماء سورية لا ترجع الى تزعمهم للحركة المضادة للاستعمار وحسب ، وانما ترجع أيضا الى أنهم يرمزون الى آمال الكثرة الغالبة فى العالم العربى ، والتى تطمح الى الخلاص من أى استغلال فى الداخل .

يجدر بنا أن نشير الى ما نشرته صحيفة « أخبار اليوم » فى أول فبراير عام ١٩٥٨ ، لانه يعبر عن أهداف الجمهورية العربية المتحدة : .

« اننا نريد من الشعب أن يمارس حقوقه كاملة فى بلد لن يكون فيه تمييز بين طبقة اجتماعية وأخرى ، أو بين دين ودين ، بلد يتمتع فيه المواطنون بكافة الحريات ... نريد نظاما اشتراكيا تعاونيا لا يسمح لأى نفوذ أجنبى ، نظاما ينتهج سياسة الحياد الايجابى . نريد أن نكون دولة من دول القرن العشرين لا من دول العصور الوسطى ... »

كانت هذه المثل متواضعة ، غير أن تحقيقها لم يكن مهمة يسيرة

اذا ما أخذنا فى اعتبارنا الظروف التى لابست العـــالم العربى فسياسة الحيـــاد الايجابى فى الخارج تغضب المســتعمرين الذين يتشبثون بمصالحهم الحيوية فى المنطقـــة • وليس من المعقول أن يرضى الغرب عن وجود جمهورية قوية تضم الدول العربية المتحـدة وتأبى أن تتنازل عن سيادتها لواشنطن أو لندن •

ومن المؤكد أيضا أن سياسة الاصــلاح الداخلى ، والخطوات التى تتخذ من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ، لن تلائم احتياجات الغرب فى المنطقة ، ذلك لأن هذه السياسة ستوقظ الشعوب العربيـــة وتجعلها تؤكد وجودها • لقد اصطنع الغرب أسلوبا محكما للتعامل مع الاوتوقراطيين العـرب • ويتلخص هذا الاسلوب **فى اســتخدام الرشوة من ناحية والتهديد من ناحية أخرى ، غير أنه لا يستطيع أن يعرف كيف يصادق الشعب** • هذا الافلاس الذى ييعانيه الغـــرب تعكسه تلك الاستراتيجية المقوتة « مسالمة الملوك » •

ان ملوك العرب والباشوات الاقطاعيين يخشون هذا الخطر الجديد الذى يهدد مصالحهم وامتيازاتهم • وكثيرا ما أزعجهم حب الشـعب العربى لجمال عبد الناصر وشكرى القوتلى • وفى الاردن ، فى العام الماضى ، شعر الملك بالذعر فالتجأ الى السفارة الامريكية لتقيل رئيس وزرائه ، وتحل برلمانه • لقـد عظم الخطر ــ فى نظر هؤلاء ــ عندما اتحدت الدولتان ، مصر وسورية ، فى جمهورية عربية واحدة تناشد بقية الدول العربية أن تتحد أيضا • هذه الدعوة لا شك ستؤدى الى ظهور قوى لا تقاوم ، قوى تخدم الجمهورية العربيـــة • ان نطاق الجمهورية العربية لا شك سيتسع ، والقوتلى لم يخطىء حين تنبـأ بأحداث الغد وقال أنه سيعيش « ليرى العــــالم العربى كله ، من مراكش حتى العراق ، جزءا من جمهورية واحدة » •

غير أن الامور لن تسير فى مجراها الطبيعى دائما ، واذا كان لنا أن نؤكد شيئا فيما يتعلق بغربى آســـيا فهو قولنا بأن الصراع سيشتد ، وأن التوتر سيتزايد فى المستقبل القريب • ان تكوين

الجمهورية العربية المتحدة ما هو الا نهاية لبداية المعركة التى يقودها جمال عبد الناصر ، وليس بداية لنهاية هذه المعركة •

لقد أشار جمال عبد الناصر الى هذه المعركة فى حديثه الى الشعب يوم ٥ فبراير « ان متاعبنا ستتضاعف من جـــراء ما يعترضنا فى طريقنا • ان الذين لا يرضيهم اتحـــاد مصر وسورية ، والذين لا تناسب هذه الوحدة خططهم لن يرضوا عن هذه الوحدة فى هدوء دون أن يحركوا ساكنا • وستكون هناك محاولات عديدة ، وجهود ، ومناورات للقضاء على هذه الوحدة • وعلينا أن نمضى فى طريقنا ونحن متيقظين » •

« اجراءات معادية للعرب •• »

تحققت هذه المخاوف عندما سارعت مملكتان الى تكوين ما سمى بالاتحاد العربى • وكانت هناك مؤامرة لاغتيال جمال عبد الناصر ، وأميط اللثام عن هذه المؤامرة وثبت أن الشعب يقف الى جانب جمال والى جانب جمهوريته •

لقد اتضح ميل الملوك العرب الى الغرب قبل تكوين الجمهـــورية العربية المتحدة بزمن طويل ، فمجرد انتهاء أزمة السويس واعــلان مبدأ ايزنهاور ، انقسم العالم العربى الى قسمين • وكتب المراسل « أوسجود كارذارس » فى ٤ مايو مقالا فى صحيفة النيويورك تايمز جاء فيه أن هناك اتجاها لعزل مصر وسورية • وفى ١٨ مايو أرسل المراسل هومر بيجارت برقية الى نفس الصحيفة بهذا المعنى ، وجاءت تحت عنوان «ملوك الشرق الاوسط الثلاث يهددون جمال عبدالناصر» •

وكان موقف ملوك العرب وأتباعهم معاديا للجمهورية الجديدة • وكتب فاضل الجمالى فى صحيفة الامل - فى ٤ فبراير :

« فى الواقع أن هذا الاجراء يهدد مصالح العرب ، ويهدد العوامل الطبيعية ، ويعتبر تحديا للسياسة الدولية المتعقلة ، بل وتحـــديا لمشاعر العراق ، وشعب العراق • » أما نورى باشـــا فكان يقضى

عطلته فى تركيا بعد اجتماعات حلف بغداد • قال نورى باشـــا : « ليست الوحـــدة شيئا رديئـــا ، فأنت ترى أنى الفت بـلدا من البلدين ! » • وفى الاردن كان حسين مشغولا بالاتصال بقريبـــه فيصل للتفكير فى تأليف اتحاد مضاد للجمهورية • وفى لبنان منع المسئولون المظاهرات المؤيدة للوحدة •

ومع ذلك كان تفكير الشعب العربى ، وتصرفاته ، شيئا آخر • اذ تدفق آلاف اللبنانيين علىٰ دمشق ليشاركوا الشعب السورى فى احتفالاته وخفقت فى بيروت وطرابلس الاعلام واللافتات التى ترحب بالوحـــدة • وفى العـــراق قـدم سبعة نواب ، منهم بعض الوزراء السابقين ، مشروع قرار يطالب بارسال برقية الى ناصر والقـــوتلى للتهنئة بالوحدة • وذكرت وكالة الانباء العربية فى بيروت ما حدث فى الاردن فقالت : « هناك حماس كبير فى صفوف الشعب ، غير أن هذا الحماس لا يكاد يجد منفـــذا بسبب الاحكام العـرفية » • وفى السعودية العربية رحبت النيو ستتسمان بظهور الامير فيصل عـلى مسرح الاحداث قائلة أن هذا الاجراء « خاتمة للكابوس العربى » •

ومع ذلك لم تتورع حكومة الاردن وحكومة العراق عن اتخـــاذ الخطوات الاساسية لتأليف اتحاد ينافس الجمهورية العربية المتحدة • وفى الثامن عشر من شهر فبراير صدق البرلمان العراقى على الوحدة ، وفى اليوم التالى صدق عليه الأردن • وقيل أن هذا الاتحاد سيكون حجر الزاوية فى بناء الوحدة العربية الكاملة ، غير أن الهدف الحقيقى كان واضحا للعيان • وعبرت النيويورك تايمز عن هـــذا الهـدف بصراحة : « ان سرعة تكوين الاتحاد العربى فى أعقـــاب الجمهورية العربية المتحدة التى يرأسها جمال عبد الناصر تدل عـــلى أن بعض الدول العربية تشك فى نوايا جمال ، وترى أن آماله من أجل تحقيق الوحدة العربية انما تهدد سيادتها » • وفى ١٥ فبراير ارســـل فوستر هيلى برقية من القاهرة نشرتها صحيفة النيويورك تايمز ، وجاء فيها : « لم يكن من المحتمل أن يتم اتحاد بين مملكة العـــراق

ومملكة الاردن ، ولم يكن من المعقول أن يتم هذا الاتحاد بهذه السرعة ما لم يسبقه نبأ اعلان الجمهورية العربية المتحدة بالقاهرة • وتفسر العواصم الاجنبية هذا الاتحاد بين فيصل وحسين على أنه حماية لهما من الوحدة التى جمعت بين مصر وسورية » •

والامر الذى له دلالته هو أن حسين وفيصل وجدا صديقا جديدا : اسرائيل • وفى ٨ فبراير نشرت النيويورك تايمز برقية من مراسلها فى تل ابيب جاء فيها : « آن شعب اسرائيل لا يهمه أن يبتعله أحد نتيجة للاتحاد ، والغريب أنه يشفق على جاره المكروه : حسين ••• ويعتقد الاسرائيليون أن الامر يتطلب فى الوقت الحالى قيادة لا تهاب مركزها واشنطن » • ليس من الغريب اذن أن يخيب أمل جمال عبد الناصر فى هذا الاتحاد بعد أن سبق له أن باركه ، اذ أعلن بعد ذلك « ان اتحادهم انما هو اتحاد زائف ستذروه الرياح •• اننا سنحارب أذناب الاستعمار »

والحقيقة التى تجعل من التعاون والصداقة بين الاتحادين أمرا مستحيلا هو اختلاف وجهات النظر بين هذين الاتحادين فيما يتعلق بالمسائل الخارجية • فالجمهورية العربية المتحدة جمهورية مستقلة ، وهى تخلص لمبادىء الحياد الايجابى ، أما الاتحاد فيخضع لقبضة الغرب القوية وقد يملى عليه الغرب أوامر حتى فيما يتعلق بمشاكله الداخلية ، ومن المؤكد أن الغرب لن يعطف على هذا الاتحاد بأى حال من الاحوال •

أما العقبة الكبيرة التى تعترض طريق الجمهورية العربية المتحدة فهى أنها محاطة بعدد من البلدان الموالية للغرب ، وهناك بلدان شمالى افريقية الواقعة ناحية الغرب ، والتى لا تستطيع أن تعبر عن مشاعرها تجاه الوحدة العربية

« جمال عبد الناصر يرد على خصومه »

وظل حنق الغرب قاصرا على مهاجمة جمال عبد الناصر فى الصحف ، وعلى هذا الطوفان من الرسوم الكاريكاتورية المغرضة ،

والبرقيات المضادة • وقيل أن جمال عبد الناصر صورة أخرى من هتلر وأنه قد سلب سورية وينوى سلب مزيد من الدول العربية الاخرى • وقيل أنه يريد أن يجعل القاهرة عاصمة الدول العربية حتى تتدفق عند أقدامها رسوم البترول •

غير أن جمال عبد الناصر قد أوضح للكاتب أنه يريد للوحدة العربية أن تنبع من قلوب الشعوب العربية وعقولها ، وأنه لا يحب أى صورة من صور الضغط والالزام • ومنذ فترة ليست بالبعيدة كتب مراسل الفجر الباكستانية المعادى لجمال عبد الناصر ، كتب يقول أن جمال عبد الناصر أذهل السيد عسيران رئيس البرلمان اللبنانى بنظرته المتسامحة ، وديمقراطيته وفهمه لامور الدنيا • فلقد شرح الرئيس اللبنانى كيف أن جمال عبد الناصر قال له مؤكدا : « اننى أريد أن يظل لبنان بلدا مستقلا ، وأريد له أن يتمتع بسيادته •• ولا أساس من الصحة لما قيل من أن العملاء الوطنيين يدبرون مؤامرة لاثارة القلاقل ، حتى يجبروا لبنان على الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة •• اننا نحترم المسيحيين اللبنانيين كل الاحترام • فهم الذين أدخلوا الطابع العربى الى مصر ، وهم الذين حفظوا لنا لغة القرآن •• كل ما أريده من لبنان ألا يستخدم قاعدة للمؤامرات ضد الوطنيين ، وضد الجمهورية العربية المتحدة » •

وفى هذا المعنى أيضا أجاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر على سؤال وجهه اليه مندوب اذاعة كولومبيا الامريكية

السؤال :

سيدى ، دأبت أجهزة دعايتكم القوية على اثارة القلاقل فى الاردن، والعراق ، ولبنان ، والعربية السعودية ، بل وفى السودان وتونس، كما أنها تثير بصراحة مشاعر عنصرية فى افريقية • ما رأى سيادتكم ؟

الجواب :

أعتقد أن نظرتك للموقف لا تعطى صورة حقيقية للواقع • لقد كان الهدف من سياستنا ، وما زال ، القضاء على التوتر فى منطقة الشرق الاوسط ، وفى العالم أجمع ، وقد نضطر فى بعض الاحيان الى اتخاذ اجراءات وقائية ، غير أن هذا لا يعنى أن هدفنا قد تحول ، وأننا لم نعد نرغب فى تخفيف حدة التوتر • ان هناك تسع اذاعات سرية موجهة ضدنا • وهناك أيضا شبكات اذاعية منتشرة حولنا تخدم مصالح هؤلاء الذين لا يريدون الخير للشعوب العربية ولنا • وأهم هذه الاذاعات اذاعات حلف بغداد • انها لا تفعل شيئا سوى مهاجمتنا • انها تهاجم آمال العرب وحقهم الشرعى فى سياسة قومية تنبع من رغباتهم الحقة ، انهم يهاجموننى لأننى أكافح من أجل هذه السياسة ، لقد كان الواجب يقتضى منا أن ندافع عن أنفسنا ضد هذا الهجوم ، وأن نكشف عن الحقيقة لشعبنا • ويبدو انك نسيت الحملات الموجهة ضدنا ، وتذكرت فقط اجراءاتنا الدفاعية ضد هذه الحملات ، ان محطات الاذاعة السرية تحرض على اغتيالى • ومع ذلك حين أشير الى الذين يعملون لصالح هذه المحطات ويتعاونون معها بوصفهم عملاء الاستعمار ، تقول أننى أهاجمهم ! » •

ولكن ، لم تتعرض الوحدة العربية حتى الآن ، لعداوة سافرة على مستوى حكومى • ولا يدل هذا ، بطبيعة الحال ، على الاستسلام للقوى التى تتزعم الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحالى وهناك عاملان مختلفان يفسران هذا الاتجاه • لقد عرف الغرب بعد أن دفع ثمن أخطائه باهظا ، أن العداوة السافرة ضد أى بلد عربى انما تضاعف من قوتها وتضعف من سلطان الدول العربية الموالية للغرب • لقد صار من الواضح ، فى أزمة مصر عام ١٩٥٦ وأزمة سورية عام ١٩٥٧ ، أن الدول العربية الاخرى اضطرت الى تأييد البلدين تحت ضغط الرأى العام • ومن ثم اقتضت الامور أن يختفى المتآمرون وراء ستار ، وأن يصطنعوا أسلوبا آخر •

وهناك عامل آخر يتحكم فى سياسة الغرب ، ويجب علينا أن

نتفهم هذا العامل • فالغرب يحس أن الجمهورية العربية المتحدة ستتعاون معه لكى تحل المشاكل الضخمة التى تواجهها ، ويريد الغرب أن يحول دون امتداد هذه الجمهورية الجديدة ، وأن يقاوم العناصر الاجتماعية الناهضة فى الداخل ، وهو يأمل من وراء هذا الى تحقيق ما فشلت فى تحقيقه حملة السويس •

ان الاتجاه الذى يسود العالم العربى اليوم هو الاتجاه الذى يسير فى طريق الوحدة ، ان تاريخ العالم العربى ، وجغرافيته ، واقتصاديته ، تفرض هذه الوحدة فرضا • **لا شىء غير أمة عربية متحدة تستطيع أن تحقق للعالم العربى نهضة اقتصادية سريعة ، ولا شىء غير أمة عربية متحدة يحقق أكبر استفادة من الامكانيات التى يتيحها بترول المنطقة ، وتتيحها الموارد الطبيعية الاخرى هناك •** كما أن وجود دولة عربية موحدة سيحدث ثورة فى نظام الحكم • ولن يستطيع العالم العربى أن ينجح فى حربه ضد الاقطاع والاستغلال الا اذا اتحد • ان الغاء الحدود السياسية سيدعم الحركات الشعبية الموجودة ويخلق حركات شعبية فى أماكن أخرى محرومة منها ، وأخيرا : تستطيع الدول العربية المتحدة أن تلعب الدور التاريخى الذى تنبأت به الاحداث الاخيرة •

ان الشرق العربى ، فى هذه الايام ، ميدان للحرب الباردة ، وفى هذا الميدان تتصارع القوى المتنافسة والمبادىء المتعارضة • واذا قام العرب أنفسهم بملء ما يسميه الغرب « بالفراغ » واذا ما كان هناك مبدأ عربى حق يحل محل مبدأ ايزنهاور فان رقعة السلام ستمتد فى هذه المنطقة فى سبيل تحقيق السلام العالمى •

ان الدولة العربية الموحدة هى التى تستطيع أن تحقق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية وهى التى تستطيع أن تتمسك بسياسة خارجية مستقلة يتطلع اليها الشعب العربى من مراكش حتى بغداد • ان الجمهورية العربية المتحدة خطوة فى سبيل هذه الوحدة الشاملة ، ومن المؤكد أن هذه الوحدة ستمتد ، فمهما كانت الصعوبات التى تعترض هذه الوحدة حاليا ، فان الشعب ، والتاريخ ، فى جانبها •

١٤ ـ وكالات الاستعمار الأخيرة *

لم يكن مداد الفصل السابق قد جف بعد ، واذا بأنباء تأتى من لبنان تقول أن نيران الفتنة قد اندلعت هناك · وكانت هناك أنباء مزعجة أيضا ، أقبلت من شمالى افريقية · ذلك أن عشاق الحرية يشعرون بالأسى حين يسمعون بأنباء الدكتاتورية الفرنسية الجديدة التى تزعمها ديجول فى أعقاب الفاشستية التى نشرها قادة فرنسا فى الجزائر · ان استسلام النظام الديمقراطى الفرنسى وظهور عهد من الاستبداد تحت زعامة ديجول لا يعنى الا شيئا واحدا وهو أن الجيش الفرنسى الذى يقوده الضباط الفرنسيون الفاشستيون سيستخدم أعنف الاساليب ليسحق الجزائريين الذين يكافحون من أجل حريتهم منذ سنين أريقت فيها دماء كثيرة

ان القلاقل العنيفة التىأخذت بخناق الدولة الصغيرة لبنان مرجعه الى أن مبدأ ايزنهاور قد وضع موضع التنفيذ مرة أخرى ، غير أن هذا لم يتم بطريقة أمينة مباشرة ، وانما بطرق مريبة · ان الهدف من وراء هذا كله تسديد ضربة قاصمة للجمهورية العربية المتحدة ، ولجمال عبد الناصر الذى يتزعم البعث العربى · نسى الغرب ذلك الدرس الذى تعلمه عندما اختلق التوتر بين تركيا وسورية · وظهر فى الافق هجوم جديد على الطريقة الامريكية المعهودة ·

ويعتقد أن وولتر ليبمان أن « القضية اللبنانية تستحق العرض على الأمم المتحدة ، بل وقد تستحق المناقشة فى دورة خاصة للجمعية العامة » · ويقول ايزنهاور أن من حقه استخدام مشروعه الذى يحمل اسمه ، غير أنه لم يقدم على هذه الخطوة بعد · والهدف من وراء هذا كله تضليل الرأى العام : ذلك لان أحداث لبنان الجارية انما تدور بفعل هذا المشروع ، مشروع ايزنهاور ، وبفعل المؤامرات العسكرية التى تقف وراءه تسانده ، ان هناك شبه محاولة لعرض

القضية المحلية على الامم المتحدة ، غير أن هذه المحاولة لا يمكن أن تخدع أحداً ، بل انها لا يمكن أن تخدع اللبنانيين أنفسهم كما يدل على ذلك استقالة وزيرين لبنانيين احتجاجا على تلك المؤامرة التى تريد « تدويل » قضية تخص القومية العربية وحدها • وتؤمن الجمهورية العربية المتحدة بأن القضية اللبنانية هى قضية محلية : **فالشعب هناك انما يعلن احتجاجه الشديد على أذناب الاستعمار الذين لا يعملون لصالح الشعب** • وهكذا نرى أن عرض القضية على الامم المتحدة بمثابة محاولة لاكتساب موافقة اجماعية على مبدأ ايزنهاور الممقوت •

ومن الضرورى أن نرجع الى الوراء قليلا ، فلبنان الحديث من صنع الفرنسيين الذين تخلوا عن انتدابهم فى سورية ، وأراد الفرنسيون أن يقضوا على الدولة المسلمة القوية : سورية • وفى مايو ١٩٣٦ اعلنت الجمهورية ، فى ظل النفوذ الفرنسى ، وبعد الحرب العالمية الثانية حصل لبنان على استقلاله الكامل • ويمتد لبنان من الشمال الى الجنوب مسافة قدرها ١٢ ميلا ويمتد عرضا مسافة قدرها ٣٠ ميلا او ٣٥ ميلا •

« أكذوبة الدعاية الغربية »

يدعى المؤرخون أن لبنان هو البلد الوحيد الذى توجد فيه أقلية من المسلمين • وهذا النوع من الدعاية يعتبر دعاية كاذبة اختلقها الغرب • والذى حدث أن الاقلية المسيحية صارت أغلبية فى نهاية الامر بفضل الفرنسيين الراحلين ، فلقد أعادوا تنظيم الحدود بين لبنان وسورية بحيث يضمنون سيطرة الغالبية المسيحية ، وعلاوة على ذلك خولوا حق الانتخاب لجميع اللبنانيين المسيحيين الموجودين فى الخارج ، ويبلغ تعداد هؤلاء مليونا أو يزيد ويعيش معظمهم فى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية • وكانت النتيجة أن أصبح من حق المسيحيين وأحفادهم الذين هاجروا الى الامريكتين منذ جيلين أو ثلاثة — أن يصوتوا فى الانتخابات التى يجريها لبنان فى الوقت

الحالى ، وهكذا يضمن لبنان وجود أغلبية مسيحية تفوق عدد السكان المسلمين الموجودين هناك •

ومع هذا ، أكد عبد الله اليافى ، رئيس الوزراء السابق ، أن لبنان « دولة عربية لحما ودما • ومكانها الطبيعى العالم العربى ، ودورها يحتم عليها أن تعمل من أجل الوحدة العربية ، ومن أجل قوة العرب وأمنهم » • وكان عبد الله اليافى قد استقال لأنه طالب بقطع العلاقات الدبلوماسية التى تربط لبنان ببريطانيا وفرنسا ، بعد أن هاجمت الدولتان مصر فى حرب السويس • واستغلت « يد أجنبية » هذه الفرصة لتثير ضغائن دينية وطائفية فى لبنان •

لقد صرح عبد الله اليافى بهذه الكلمات لمؤلف الكتاب منذ عامين ، والآن ، وعلى ضوء الاحداث الجارية فى لبنان ، نجد أن رئيس الوزراء السابق كان يسبق هذه الاحداث فى تنبؤاته ، فلقد نجحت المحاولة التى تهدف الى بث سموم العداوات الدينية فى لبنان • ولكن لبنان — كما أعلن عبد الله اليافى — لن ينفصل أبدا عن الكيان العربى ، ان سكاننا المسيحيين والمسلمين على السواء يعتبرون أنفسهم عربا قبل كل شىء » •

كما عبر صائب سلام عن نفس هذه المشاعر ، ولقد كان صائب سلام رئيسا للوزراء وهو يتزعم الآن قوات التحرير اللبنانية •

» الأساس الطائفى للحكومة «

كان عبد الله اليافى محقا فى قوله ، غير أن دعاة التفرقة والانقسام أخذوا يستخدمون كل وسيلة شيطانية لبث التفرقة فى صفوف العرب • مثال هذا أن الكاتب فوجىء بذلك التقسيم الدينى والطائفى الذى يميز لبنان ، والذى بثه المستعمرون الفرنسيون الراحلون فى صفحات الدستور ودور الحكومة • اذ يقتضى الامر ان يكون رئيس

(بليتز • عدد ٩ فبراير ١٩٥٧) •

الجمهورية مسيحيا من الطائفة المارونية ، ويجب أن يكـــون رئيس الوزراء مسلما من طائفة السنة ٠

هذا على أن يكون نائب رئيس الوزراء مسيحيا ينتمى الى كنيسة اليونان الارثوذكس ٠ وتنص اللوائح على أن يكون رئيس البـرلمان مسلما من أهل الشيعة ، وأن يكون وزير الخارجية مسيحيا وأن يكون وزير الدفاع من قبيلة الدروز العربية ٠ وهكذا يتم تقسيم الجهـــاز الحكومى على تلك الاسس الدينية والطائفية ٠

ولقد وقف لبنان صامدا الى جانب مصر أثناء محنة السويس ٠ غير أن كميل شمعون لم يوافق على قطـع العلاقات الدبلوماسية بين لبنان وفرنسا وبريطانيا ٠ ولم يكتف بهـذا وانما كان أول رئيس عربى يؤيد مشروع ايزنهاور ٠ ورحب وزير خارجيته ، شارل مالك ، بهذا التدخل الامريكى فى شئون غربى آسيا قائلا أنه « خـــدمة تاريخية » وأنه مساهمة فعالة فى سبيل « تحقيق الامن والســـلام والعدالة والحرية فى غربى آســـيا » ٠ وهكذا وقف هذان الرجلان ضد تيار الرأى العام ورضوا ــ عن طيب خاطر ــ بخضوع لبنـــان للغرب وانفصاله عن أشقائه العرب ٠

وبينما كانت معظم هذه التصرفات الدنيئة التى توجهها واشنطن تمهر بامضاء سامى الصلح الرجل العربى المسلم ، اكتشف المؤلف أنه لا يعدوا أن يكون تابعا لعصابة شمعون ــ مالك ٠ ودار بينه وبين المؤلف حديث صحفى قال فيه سامى الصلح أن اسمه معناه السلام وأنه لا يرغب فى شىء قدر رغبته فى الوصـــول الى حل سلمى بين العرب واسرائيل !! وحينئذ لكزته المترجمة من تحت المائدة ليعدل عن أقواله ٠ ان تهديد رجل مثل «سام العجوز» كما تسميه المعارضة بتقديم استقالته يدل على أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تسيطر على لبنان ٠ هذا بينما يتزايد انجذاب الشعب اللبنانى الى الجمهورية العربية المتحدة التى تسير من نصر الى نصر ٠

شمعون يهاجم الدستور

وفى ظل هذه الظروف فكر كميل شمعون فى ارتكاب خيانة ضد الدستور • اذ اكتشف أنه اذا ما انتخب مرة ثانية فان الامور ستسير على ما يرام ، وفى صالح حلفائه وسادته الغربيين • ولقد وافق أخيرا على تحويل الموانىء والمطارات اللبنانية الى قواعد عسكرية أمريكية • ونظرا لأن لبنان لا يتوقع أى هجوم من جانب جيرانه العرب ، فلا بد أن الغرض من هذه القواعد هو ايقاف تيار القومية العربية • وكان أن ازدادت حدة التوتر فى لبنان ، وتضاعف حنق الشعب هناك •

وفى تلك الفترة قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة روسيا ونجح نجاحا هائلا فى كسب تأييد السوفييت لجميع القضايا التى تواجهها القومية العربية • وأصيب حكام لبنان وسادتهم فى الغرب بالاوجاع عندما سمعوا بأنباء هذا النجاح الساحق •

وقام الامريكيون بتحريض شمعون الذى فكر فى تعديل الدستور وأعلن صراحة عن نيته فى دخول معركة الانتخابات من جديد

كانت الامور فى حاجة الى شرارة تشعل نيران الشعب ، وتمثلت هذه الشرارة فى ذلك الاغتيال البشع الذى راح ضحيته نسيب المتنى صاحب صحيفة من صحف المعارضة التى تؤيد جمال عبد الناصر ، وقيل أن الذين اغتالوه من شبكة للمخابرات كانت تابعة لهتلر ثم استوعبتها مخابرات أمريكا بعد الحرب • وتعتبر تركيا المركز الرئيسى لهذه الشبكة ، ويشرف عليها الهر لبكاو ومستر شتيرن •

وسادت الشعب اللبنانى موجة من السخط ، ثم ساد الشعب ، وتجاوبت الصيحة معلنة وقوفها ضد انتخابات شمعون مرة أخرى ، ومع هذه الصيحات المتجاوبة تأججت مشاعر الجماهير فلم تكتف بهذا وانما أخذت تطالب باستقالة شمعون على الفور • كان هذا هو رد الشعب اللبنانى على ارهاب الحكومة اللبنانية •

« روسيا تصد الغرب »

ها هى القلاقل الداخلية تسود لبنـان ، وها هى الدول الغربيـة تريد أن تتدخل • وسرعان ما أرسلت أمريكا وبريطـانيا قواتهما البحرية الى مسافة ٢٠٠ ميل من لبنان • وكان أن أصدرت روسيا أوامرها الى وحداتها البحرية فى البلطيق والبحر الاسود والقواعد الألبانية ، لتتحرك الى شرقى حوض البحر الابيض المتوسط • واذا كان هناك شعب يناضل حكـومة تخونه وتضعه فريسة للتهـديد الاجنبى فان الاتحاد السوفيتى ليس على استعداد للوقوف موقف المتفرج ، لقد عبر الاتحاد السوفيتى عن هذا الاتجاه تعبيرا صريحا منذ أزمة السويس •

وأكثر من هذا أن الدول الغربية أرادت أن تبرر نواياها العسكرية وأن تعتذر عن هذه النوايا فادعت دون حياء أن رجال جمال عبـد الناصر فى مصر وفى سورية يعملون على اثارة القلاقل الداخلية فى لبنان • ان الغرب يضع جمال عبد الناصر فى صورة شـبح تقف وراءه روسيا ، وهو يرفع هذه الصورة المزيفة أمام الجميـع ليخفى أطماعه ونواياه • ومن المؤكد أن مجلة « الايكونومست » اللندنية لا تصادق جمال عبد الناصر أو تصادق روسيا ، ومع ذلـك لخصت الموقف بأكمله فى هذه الكلمات : « يشعر معظم اللبنانيين بحق أنهم فى حاجة الى الاندماج فى العالم ، فى العالم العربى الذى يعيشون فى أحضانه • وقد يفخرون بطابعهم العربى ، وقد يرون أن سورية ومصر أقل منهم تحضرا غير أن الذى حدث أن عددا كبيرا تثير ضخامته الدهشة قد أعلن عن استعداده لدفع الكثير ثمنا للعروبة » •

وقد يخضع الكاتب لبعض التحيز ، غير أنه هنا يذكر الحقيقة ولا شىء غيرها • ان السعى الى تحويل هذه المسألة الداخلية الى مشكلة دولية انما يؤدى الى توسيع رقعة القلاقل • كما أنه يدل على تجاهل رغبات الشعب الذى يعنيه الامر • ان الدرس الذى يستخلص من هذه الاحداث كلها هو أن مبدأ ايزنهـاور يجب أن يدفن فى أعمق

أعماق الارض • انه أس البلاء فى غربى آسيا • وعلى الدول الغربية أن تتعلم كيف تسالم القومية العربية •

ويجدر بنا ونحن فى هذا السبيل أن ننشر تلك البرقية التى بعث بها صائب عادل مراسل « بليتز » فى بيروت ، ذلك لان هذه البرقية تنقل تصريحات عن مصادر أمريكية مسئولة تثبت نوايا أمريكا فى جعل لبنان « صورة أخرى من اسرائيل ، دولة يحاصرها الغرب ويجعلها تتحدى تيار القومية العربية المتدفق » • ولقد نقلت البرقية بيانات مفصلة تربط بين لبنان من ناحية والجزائر من ناحية أخرى داخل اطار مبدأ أيزنهاور ، حتى تتحقق لامريكا فكرة التفرقة ، وتتم لها السيادة على العالم العربى •

البرقيـــة

بيروت : تحاول الصحف الاجنبية ووكالات الغرب أن تشوه رأى أى عربى فى أزمة لبنان بأن تقول ان هذا الرأى « دعاية من جمال عبد الناصر » • من أجل هذا يحسن بنا أن نكتشف اليد الامريكية التى تلعب فى الخفاء لتثير حربا أهلية ، بأن تتطلع على الصحف الامريكية نفسها •

وآخر المجلات الامريكية التى وصلت الى لبنان ، مثل « تايم » و « نيوزويك » لا تخفى أن هناك اتفاقا سريا بين أمريكا ولبنان ، أى بين دالاس وشمعون ، لجعل لبنان « **صورة أخرى من اسرائيل — ودولة محاصرة موالية للغرب تتحدى تيار القومية العربية المتدفق** » •

(نيوزويك ٢٦ مايو صفحة ٢٥ العمود الثالث) •

« ولقد تم اعداد المؤامرة الامريكية كانتقام من جمال عبد الناصر الذى وفق فى رحلته الى الاتحاد السوفييتى • لقد جاء جمال عبد الناصر وهو يحمل لنا — نحن الشعب العربى — هدية الاتحاد السوفييتى ، التى تتمثل فى تأييده الكبير لمعركتنا فى سبيل الحرية، وفى سبيل الوحدة •

وأراد دالاس أن يعرقل هذه الجهود الانشائية ، وأصبح اثنان من أذناب واشنطن ـ وهما شمعون وشارل مالك العوبة في يد هذه المؤامرة الامريكية ٠

ولتقرأوا هذه الفقرة التاليـــة التى جاءت فى مجلة النيوزويك الامريكية بتاريخ ٢٦ مايو لتطلعوا على خطوط المؤامرة كما رسمها المتآمرون أنفسهم :

« عاد جمال عبد الناصر من رحلته الى روسيا فى الاسبوع الماضى لينكر اتهامات بيروت بالتدخل ٠ وأيدته دعوة خروشوف الى تضامن الشعوب العربية فى ظل قيادته ، واتجه بدلا من هذا الى اليمن ووعد بأن يقف الى جانبها فى معركتها مع بريطانيا من أجل عدن ٠

غير أن شمعون لم يدع الفرصة تفلت منه ٠ وفى هدوء تساءل : هل ستؤيده الولايات المتحدة عسكريا فى جهوده التى يبذلهـــا ليسحق غزاة الجمهورية العربية المتحدة الذين يتسللون الى لبنان ؟ وبعد أن تشاورت الولايات المتحدة مع بريطانيـا أرسلت ردها الى لبنان سرا ووعدت بأن تتدخل بقواتها المسلحة اذا ما كانت بيروت عاجزة عن حماية الارواح والممتلكات الأمريكيـــة واذا ما قام لبنان بتوجيه اتهاماته الى الجمهورية العربية المتحدة فى مجلس الامن ٠ وتشك واشنطن فى أن يكون جمال عبد الناصر راغبـــا بحق فى استيعاب لبنان الذى يكتظ بالمسيحيين ، ليضمه الى امبراطوريتـه العربية » ٠

« فاذا لم يكن جمال عبد الناصر يريد حقا أن يستوعب لبنان ، كما اعترفت أمريكا بنفسها ، فلماذا هذه الضجة اذن ؟ لماذا قتل صاحب الجريدة التى تؤيد جمال عبد الناصر ؟ ولماذا تعرض الوطنيون العرب لوسائل القمع ، وهذه المعارك الدموية فى الشوارع ، تلك المعارك التى كادت تتحول الى حرب أهلية بايعاز من واشنطن ؟

ان المشكلة الرئيسية هى أن واشنطن تحس بالذعر اذ ترى التفاف العرب حول جمال عبد الناصر ، وهى تريد عزل الجمهورية العربية

المتحدة ، وتريد مهاجمتها من كل جانب • ولهذا تهدد تركيا بغزو الحدود السورية مرة أخرى ، بينما يتهمك قراصنة بغداد(١) فى اجراءات عدوانية • ان حكومة لبنان الموالية للغرب فى حرب مع الشعب •

مخازى الفرنسيين فى الجزائر

تعتبر مشكلة الجزائر من بين المشاكل الكبرى التى تواجه العالم العربى فى الوقت الحاضر ، وقد مضى على الجزائريين ويبلغ عددهم ١١ مليون أربعة أعوام وهم يناضلون من أجل تقرير مصيرهم ،ومن أجل حريتهم ، ضد عهد من عهود الوحشية التى عرفها التاريخ • ونسى الفرنسيون الدروس التى تلقوها فى الهند الصينية ، وحاول أكثر من نصف مليون جندى فرنسى قمع حركة شعب يريد ان يتحرر، شعب يتزعمه مليون جزائرى لا يملك السلاح الكامل • وحتى قبل شهر نوفمبر عام ١٩٥٤ انهمكت فرنسا فى حرب الابادة الجماعية • وهكذا أغتيل ٤٥٫٠٠٠ مواطن أعزل برىء ، دون ما رحمة أو شفقة•

ومنذ شهر نوفمبر عام ١٩٥٤ ، ازدادت الخسائر ، فلقد عرف شعب الجزائر ، عندما انطلقت المدافع الرشاشة وألقيت القنابل ، أن الحرب ما زالت مستمرة • « وضربت قرى بأكملها بالقنابل • وأخذت الرهائن ، ونفذ حكم الاعدام دون محاكمة • واختطف خمسة من الزعماء الجزائريين ، وألقى بهم فى غياهب السجن • واضطر ثلاثمائة ألف مواطن الى الالتجاء الى تونس ومراكش (العالم العربى » نيويورك ، نوفمبر ١٩٥٧) •

وظهرت فى الافق معسكرات الاعتقال ، ولقى أكثر من خمسمائة ألف جزائرى حتفهم ، وصدرت الاوامر للقوات الفرنسية باطلاق النار على كل مخترق للمناطق المحرمة ، بل وأخذت القوات تفتك

---

(١) يقصد المؤلف حكام العراق قبل ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨

بالجنود الجرحى ، وحرم الجزائريون من الدواء والعقاقير ، والتظت قائمة الوفيات بأسماء النساء والاطفال • وقال المندوب ا• حسان فى المؤتمر الافريقى الآسيوى الذى عقد فى القاهرة أخيرا : « ان فرنسا مصممة على ابادة الشعب الجزائرى • لقد مرت على القوات الفرنسية ثلاثة أعوام وهم يصوبون بنادقهم الى هدف واحد وهو السكان الوطنيين العزل • ان المسألة ليست مسألة منطقة ، أو مجتمع ، كما انها ليست مسألة مدينة أو قرية ، أو جبهة عسكرية يتطرف فيها الجيش فى عملياته العسكرية ، وليست مسألة دماء تراق لأيام قلائل فقط • ذلك لأن الجزائر بأكملها هى التى تخضع الآن للحديد والنار » •

لم يمض على الثورة الفرنسية مائتا عام واذا بفرنسا تحارب فى الجزائر من أجل القضاء على الحرية ، ومن أجل مناهضة المساواة ، ومن أجل وضع حد للاخاء ووراء هذا اليأس الذى يدب فى نفوس الفرنسيين بالجزائر يكمن المستعمر الفرنسى المتجبر ، الذى مضى عليه أكثر من قرن وهو يستغل الجزائريين ، ويحرمهم من حقوقهم الاساسية • ويتمتع بالوفرة والرخاء على حساب شعب آخر حرم من هذه الوفرة وذلك الرخاء • وعاش ١١ مليون جزائرى فى فقر مدقع بينما أخذ أقل من مليون « استعماري » فرنسى ينعمون بالرخاء الذى تدره البلاد • واذا أردنا أن نعرف بعض الحقائق الخاصة بملكية الارض فيجدر بنا أن نرجع الى ما كتبه نيقولا زيادة فى « الى أين يتجه شمالى افريقية » • يقول نيقولا زيادة :

« (أ) تملك طائفة من الاوربيين - الذين تبلغ نسبتهم معدل أوربى واحد فى مقابل ٢١ جزائرى تملك ٢/٥ من الاراضى الجزائرية ويملك كل واحد منهم قطعة من الارض تربو مساحتها على ٥٠٠ هكتار ، ويملك تسعمائة أوروبى مساحات مماثلة من الارض • هذا ويزرت الجزائريون أرضا مساحتها ١٫٩٢٥٫٠٠٠ هكتار بينما يزرع الاوربيون ٦٩٤٫٠٠٠ هكتار » •

اهمـــال التعليم

وكان هناك استغلال اجتماعي أيضـا • وبلغ عدد المتعلمين من الجزائريين في المدارس الثانوية « ٩ في المائة من مجموع عـــدد الطلاب ، وبلغت نسبة عدد الاطفال الجزائريين ١/٧ عدد الاطفال جميعهم • وبلغت نسبة الفتيات ١/٢٨ من مجموع الفتيات اللائى يتلقين تعليمهن فى المدارس» • ولم يهدف المقرر الىخدمة الجزائريين، اذ لا يدرس تاريخ العرب والتاريخ الاسلامى واللغة العربية • خلاصة القول أن الجزائر بأهلها الذين يبلغون ١١ مليون ، وأرضها ، فى خدمة مليون أوروبى فقط •

غير أننا نجافى الحقيقة اذا قلنا أن المشكلة الجزائرية من طراز المشاكل الافريقية المعهودة حيث تتصارع مصالح المستغلين مع مصالح الوطنيين • وأهم من هذا كله (وهى مسألة تساهم فى تعقيد الامور » أن مصالح فرنسا الحيوية ، بل ومصالح دول الغرب جمعاء ، جزء من المشكلة الجزائرية • ولا شك أن المستغلين الفرنسيين لا يرغبون فى مواجهة التعديلات السيكولوجية والاجتماعية التى يتطلبها تحول فئة حاكمة الى فئة قليلة فى العدد كما جاء فى « التاريخ المعاصر » — عدد فبراير ١٩٥٨ طبعة نيويورك • غير أن هناك أيضـــا تلك الامكانيات الجديدة التى تتمثل فى « الاستفادة من بترول الصحراء ، والثروات المعدنية والوهم القائل أن بقاء الفرنسـيين فى الصحراء هناك هو الذى سيتيح للمصالح الفرنسية أن تحصل على غنـــائم مجزية ومزايا اقتصادية كافية » • ويرى الخبراء أن الصحراء مكتظة بمستودعات البترول الغنية ، وهناك عدد من الشركات الامريكيـة والبريطانية ، الى جانب الشركات الفرنسية ، التى أعدت ثلاثمائة بليون فرنك لاستغلال بترول هذه المنطقة • وفى الآونة الأخـيرة طلبت شركة كندية من فرنسا انّ تمنحها حق استغلال البترول من هناك • ولا بد أن يمر بترول الصحراء عبر الجزائر اذا ما أريد له أن يصل الى أوروبا !

تسليط الاضواء على الصحراء

هناك خطوة لها دلالتها ، وتتلخص فى أن الفرنسيين ألفوا منظمة خاصة بالصحارى ، وخصصوا لها قيادة عسكرية مستقلة . وليست هذه الصحارى غنية ببترولها فقط ، وانما تزخر أيضـــا بموارد الصناعة . فهناك مســتودعات الحديد ، والرصــاص ، والزنك ، والتصدير ، والفحم فى المناطق المتاخمـــة للحدود الجـــزائرية والمراكشية ، وهناك امكانيات صناعية هائلة فى المنطقـــة المحيطة بتونس . ولقد كتب ك. ستانيك المعقب العسكرى اليوغوسلافى ، كتب يقول : « اذا نظرنا الى المسألة على ضوء الظروف الراهنة ،وجدنا أن بترول الصحراء من بين الاسباب الرئيسية التى تجعل فرنســا تأبى أن تتخلى عن الجزائر التى دمرتها الحرب . ان مؤيدى السياسة الفرنسية يتشبثون بمناطق البترول الموجـــودة بالصحراء ، وهم يتصورون أن هذه المصادر (وغيرها) ستعيد الى فرنسا سبعق عزها ومجدها وهيبتها التى ضاعت ... وفى كل مكان بفرنســـا تسمع الشـــعار التالى وهو يتردد « يجب انقاذ الجـــزائر حتى نحتفظ بالصحراء » . (ك. ستانيك . « المسائل الدولية » عدد ابريل عام ١٩٥٨) .

ان وجود هذه الصحراء يفسر لنا لماذا يؤيد الغرب سياسة فرنسا، فمن المحتمل أن يكون لهـــذه الصحراء أهميتها الاســـتراتيجية القصوى ، وقد تستخدم ميدانا لتجارب الاسلحة الجديدة . ولقـــد ذكر ا. حسان للمؤتمر الافريقى الآسيوى بالقاهرة أن فرنســـا « لا تملك قواتها الضخمة فحسب ، وانما تتمتع أيضا بتأييد مستمر من جميع الدول الاخـــرى . فحلف شمالى الاطلنطى يمد فرنســـا بالاسلحة ، والذخيرة ، والطائرات ، والدبابات ... كما تزودها الدول الاعضاء فى هذا الحلف بالمعونة الفعالة حتى تستمر فى غزوها الاستعمارى الجديد لـكافة الميادين السياسية والديبلوماســـية والاقتصادية والمالية ... وكلما نوقشت المشكلة الجـــزائرية فى

المنظمات الدولية لم يكتف الغرب بتأييد دعاوى المستعمرين الفرنسية ، وانما أخذ يؤيدهم بشدة • ولقد كانت الدورة الاخيرة التى عقدتها الجمعية العامة صورة لهذا التأييد » •

بل لقد اضطر عضو فى مجلس الشيوخ (جون ف. كندى) أن يقول فى الثانى من شهر يوليو عام ١٩٥٧ : « ان الولايات المتحدة تساهم فى تدعيم فرنسا عسكريا ، وهى ترفض المطالبة بالتوسط من أجل وقف اطلاق النار ، ويبدوا أنها ابتلعت ذلك العدد الهائل من البيانات المضادة التى أذاعها الفرنسيون والتى شرحوا فيها لماذا لم تتوقف الحرب فى الجزائر منذ أمد طويل • وكثيرا ما قيل لنا أن الحرب مستمرة لا لشىء الا لأن جمال عبد الناصر يتدخل ، وأن الثوار انما يشنون حملاتهم لكى يلفتوا اليهم أنظار الامم المتحدة ، أو لأن هناك معونة من مراكش وتونس أو لأن هناك تدخلا من جانب الديبلوماسيين والمرسلين الامريكيين ، أو لأن روسيا ، والشيوعية تتدخلان فى شئون الجزائر • ان هذه التفسيرات تحاول أن تجعل من الموجودين خارج الجزائر عملاء للثورة الجزائرية ، غير أنه لم يعد هناك من يصدق هذه التفسيرات ، حتى الفرنسيون أنفسهم ، ويتضح هذا من ذلك العدد الضخم من المحاولات التى قصد منها حظر النقد الذى توجهه الصحف ويوجهه الرأى العام » •

قادة يتشبهون ببونابرت

ان فرنسا تواجه هذه المشكلة : اما أن تستغل جهاز الامن الغربى بأكمله دفاعا عن مصالحها فى شمالى افريقية واما أن تتصرف وحدها وتفرض هذا الثمن الباهظ فى الارواح والعتاد الذى ستفرضه حرب الجزائر التى يشنها قادة يتشبهون بنابليون بونابرت • لقد أراد فيلكس جايار أن يحقق الحل الاول فاقترح تكوين حلف لغربى حوض البحر الابيض المتوسط كأساس لحل مشكلة شمالى افريقية التى تواجهها فرنسا ، وذلك عن طريق الدعوة الى نظام الامن الجماعى

للغرب . وعلق الخبير النيوغوسلافى « ل. ارفن » على هذه الخطة قائلا : « سبق أن رغبت بريطانيا العظمى أن تحمى مراكزها فى حوض البحر الابيض المتوسط وفى الشرق الادنى عن طريق عقد حلف لحوض البحر الابيض المتوسط ، واليوم تتوق فرنسا الى حل مشاكلها فى شمالى افريقية عن طريق منظمة دفاعية فى حوض البحر الابيض المتوسط . ان ظهور هذه الفكرة الفرنسية ونزاع فرنسا مع تونس والجزائر من ناحية وتوسط انجلترا وأمريكا فى هذا النزاع من ناحية أخرى ليس مجرد أمر من الامور العارضة ، كما أنه ظاهرة لا تخلو من دلالة . ان وجود منظمة دفاعية فى حوض البحر الابيض المتوسط تكفل ... حلا يساعد فرنسا على اغراء الدول الغربية بقبول حلولها الخاصة بالمشكلة الجزائرية ، ووضع حد لمعركة التحرير فى الجزائر ، وفى الوقت نفسه تعمل على تحقيق الاستقرار فى علاقاتها مع تونس ومراكش بمساعدة حلفائها فى الغرب » .

غير أن الازمة الاخيرة فى الجزائر وكورسيكا وفى باريس نفسها (والتى انتهت بوصول ديجول الى مراكز الحكم) تعكس رد الفعل الفرنسى ازاء الحل الثانى ، وهو تصرف فرنسا بمفردها واستخدامها الوسائل الاستعمارية القديمة .

أيام عصيبة فى انتظار الجزائريين

ومهما كانت سياسة فرنسا والغرب من أجل الاحتفاظ بالجزائر فى قيود الاسر ، فان من المؤكد أن معركة التحرير الجزائرية ستكون — على ما يبدو — أشد عسرا من أى معركة دارت فى أى جزء آخر من أجزاء الكتلة الافريقية الآسيوية . غير أن نجاح هذه المعركة أمر يهم العالم العربى ، وهذا النجاح كفيل بتحقيق الآمال المشتركة للشعوب العربية التى نهضت من سباتها . لقد تمتع الجزائريون باستقلالهم حتى عام ١٨٣٠ ، وكانت بلادهم أول بلاد اعترفت بالولايات المتحدة الامريكية ، ولقد وقفوا الى جانب فرنسا فى الايام العصيبة التى

تعرضت لها فى القرن الثامن عشر ، وتم الاعتراف بسيادة الجزائر ٥٧ مرة فى صورة ٥٧ معاهدة من معاهدات الصداقة الفرنسية . هؤلاء الجزائريون عرب صالحون ، ووطنيون أمجـــاد . واذا كانت فرنسا قد عجزت عن ابادة الشعب الجزائرى بجيش قوامه خمسمائة ألف جندى فان الغرب بكامل أسلحته ، وعتاده لن يقدر على تحقيق المحال .

ومن بين كل عشرين جزائرى سقط جزائرى واحد صريعا ، ولو طبقنا هذه النسبة على بلد مثل الهند على سبيل المثال ، لبلغ عــدد القتلى ٢٠ مليون . ان الشعوب التى تحررت أخيرا فى الكتلة الافريقية الآسيوية ، بل وشعوب القارتين ، لتعطف على معركة الجزائر عطفا عميقا صادقا ذلك لأنها قاست فى يوم من الايام ويلات الاستبداد الاجنبى وما زالت تخضع لألوان متعددة من الضغط الذى تفرضه دول العالم الكبرى . والواقع أن معركة الجزائر هى معركة افريقيا وآسيا بأكملها وليست معركة الشعب العربى وحـــده . ولنختتم فصلنا بما قاله ا. حسان فى مؤتمر القاهرة :

« هل سيكتب التاريخ أن شعوب افريقية وآسيا لم تفعل شيئا لمنع القوات الاستعمارية المتضامنة من ابادة شعب كل جريمته أنه طالب بحريته ؟ »

١٥ ـ نهر النيل ينساب فى أنهار الهند ٠٠

يحق للهند أن تحتل مكانا مشرفا من بين الامم الغير العربية التى وقفت على الدوام بجانب الشعوب العربية فى نضالها من أجل الدفاع عن حقوقها ٠

وهناك جوار ـ فى الموقع ـ بين شعبنا والشعب العربى ، وهناك أيضا روابط تاريخية قديمة ، والى جانب هذا تتشابه المشاكل التى تواجهنا وتواجهه كما أننا نشترك فى كفاحنا ضد المستعمرين ٠ وخلق كل هذا ـ فى صفوف الهنود ـ تعاطفا مع الشعب العربى ٠

ومما أدى الى توثيق روابط الاخوة بين الشعبين تشابه مواقفهما بالنسبة للمشاكل الدولية بعد الحرب العالمية ٠ انهما يناضلان جنبا الى جانب ويعارضان فكرة الاستعمار . ويحاولان رسم سياسة خارجية مستقلة . ويناضلان من أجل اقرار السلام فى العالم ، ويؤكدان مرارا وتكرارا حقوق الشعوب الافريقية الاسيوية ويشتركان فى مذاهبهما الدنيوية ٠

وهكذا أضيف الى ذلك التعاطف التاريخى اهتمام بالتطورات التى يمر بها العالم العربى ٠ ان مستقبل هذه المنطقة يهم الهند ، كما أنها تحس بالرضى وهى تلمس كفاح العرب فى سبيل تحقيق استقلالهم، وتشعر بالقلق حين تلمح آثار المستعمرين ٠

ان العلاقات القديمة التى تربط بين البلدين ترجع الى ما قبل العهد الاسلامى ، وهناك شواهد كثيرة تدل على أن العقول المفكرة التى سيطرت على هذا الجزء من العالم كانت على اتصال دائم بمثيلاتها فى الهند ٠ بل ان الرسول محمد رحب بالنسائم التى تأتى من الهند ٠ وكان هناك شاعر معاصر للنبى مدحه فى بيتين جاء فيهما أن

الرسول نور يستضاء به وأنه سيف من سيوف الهند مسلول . وقال علي ، رابع الخلفاء الراشدين أن الهند أول بلد دونت فيه الكتب نبعت فيه الحكمة والمعرفة . وقيل أن عمر ثاني الخلفاء الراشدين ذكر أن أنهار الهند لؤلؤ ، وجبالها ياقوت وأشجارها عطور .

وهكذا اتصل العرب على الدوام بمفكري الهند وكان هناك تبادل فكري واسع النطاق . وأسهب الكتاب العرب في الكتابة عن الديانة الهندوكية ، وفلسفتها ، كما اهتم الهندوكيون بالتعاليم الاسلامية أيضا . **وهكذا انسابت حضارة النيل ودجلة والفرات الى أنهار** الهند .

وظلت هذه الروابط على أشدها ، تتحدى أي تغير في نظام الحكم في كل من المنطقتين . واهتم شعب الهند بجزيرة العرب بعد أن رحب معظمه بالاسلام وأخذ عنه بعض تعاليمه وأدمجها في ثقافته .

معركة واحدة ضد بريطانيا

وبعد أن كانت الحركة القومية في الهند مجرد معركة محدودة من أجل بعض الحقوق الدستورية ، أصبحت في النهاية معركة من أجل انتزاع الحرية من بريطانيا . وكان هذا الاجراء أهم ما يميز المرحلة التالية للروابط الوثيقة التي ربطت بين شعب الهند وشعوب العالم العربي . لقد كان هناك عدو مشترك ، ومن ثم وجد شعب الهند وشعب العرب أساسا مشتركا للكفاح . وأصبح من الواضح لديهم أن نجاح هذه المعركة لا يمكن أن يتحقق عن طريق العزلة وأن السير في طريق الحرية في بلد من البلدين سيتوقف على مدى التقدم في نفس الطريق من جانب البلد الآخر . وهكذا أصبح اسم غاندي على كل لسان في العالم العربي ، وهكذا أعجب الكثيرون في الهند

ببعض المصريين الذين أخذوا يكافحون من أجل التخلص من الاستعمار البريطاني ·

ورأى العرب أن نجاح الهند في التخلص من الاستعمار خطوة لها أهميتها ومغزاها ، لهذا لم يكن من الغريب أن يبتهج العالم العربي بهذا التقدم الذي أحرزته الهند · ذلك لأن بقـــاء الامبراطورية البريطانية في الشرق العربي كان رهنا ببقائها في الهنـــد ، وفي المحيط الهادي · لقد سيطرت بريطانيا على غربي آسيا بعد الحرب العالمية الاولى ، وساعدت في ذلك وجود الجيوش الهندية التي كانت بمثابة حارس يحمي المصالح البريطانية الاســـتعمارية · ودبت الشجاعة في نفوس الشعوب العربية عندما انسحبت بريطانيـا من شبه القارة الهندية، وعندما ظهرت دولتان تتمتع كل منهما بالسيادة· ذلك لأن الامر لم يقتصر على اضعاف دولة استعمارية كبرى ،وانما ظهرت قوة جديدة في العالم ، قوة ستضطر هذه الدولة الى التخلي عن آخر رواسبها الاستعمارية ·

ان دخول الهند في الكومنولث البريطاني لم يمنعها من بذل كل جهودها من أجل تأييد العرب ، وتأييد حقوقهم · ومنذ عام ١٩٤٧ تبنت الهند قضية شعب شمالي افريقية وغربي آسيا في جنوحه الى الحرية ، وتعاونت مع الدول العربية تعاونا وثيقا لكي تحمي حقوقها ومطالبها ·

غير أن الهند ، والدول العربيـــة ، سرعان ما اكتشفت ميدانا أوسع للتعاون وبذل الجهود المشتركة · ذلك لأن الطرفين أحســا بالحاجة الى القيام باجراءات مشتركة دفاعا عن حقوقهما بعد ما حدث في كوريا ، وبعد هذا التغير الذي حل بالطابع الاستعماري ·

الجبهة العربية الآسيوية المتحدة

وهكذا أخذت الجبهة العربية الآسيوية ـ منذ عام ١٩٥١ ـ تلعب

دورا كبيرا فى الأمم المتحدة ، واستند هذا النور الى أساسين مختلفين : **الاول** : توسيع آفاق الحرية . **الثانى** : صيانة السلام العالمى عن طريق رفض الحكم على أية قضية الا بمقاييسها الصحيحة . والواقع أننا اذا استعرضنا الماضى ورجعنا الى الوراء وجدنا أن الكتلة العربية الآسيوية لعبت دورا تاريخيا فى الأمم المتحدة فى ذلك الحين ، وأنها بذرت البذور فى رقعة السلام الآخذة فى الاتساع .

وصممت ايران على طرد أصحاب المصالح الاستعماريين من أراضيها ، ولم يمض وقت طويل حتى قامت ثورة مصر عام ١٩٥٢ ، ومهدت هذه الثورة الطريق أمام مزيد من التعاون والصداقة . وفى الوقت الذى حدثت فيه هذه التطورات ، اهتمت الهند فى سياستها الخارجية بأمور لم تكن تهتم بها من قبل ولن نبالغ فى قولنا اذا أشرنا الى وجود رابطة متبادلة بين سياسة الدولتين الخارجية . ان التغير الكيفى الذى حل بسياسة الهند وفى نظرتها الى جهود مصدق وجمال عبد الناصر من أجل التأميم تدل على أن الهند اكتسبت مزيدا من الثقة فى ظرف الخمسة أعوام التى تفصل بين استقلالها وهذه الاحداث الاخيرة . وساهم فى هذه الثقة ذلك البعث الذى شهدته منطقة غربى آسيا ، كما ساهمت فيه الثورة المصرية ، وانسحاب القوات البريطانية من القنال ، والاجراء الذى اتخذته ايران ضد محتكرى البترول من البريطانيين ، وتدفق تيار القوى الشعبية فى سورية ، وفوران الثورة القومية فى المنطقة جمعاء .

ويجب علينا أيضا ألا نغفل ذلك التشابه بين التزام الهند لسياسة عدم الانحياز ، ومعارضتها للاحلاف العسكرية ، واصرارها على مصادقة الجميع ، وذلك التقدم الاكيد الذى يحرزه الشعب العربى من أجل احتلال المكانة التى احتلتها الهند فى ميدان السياسة العالمية .

ولقد حدث عام ١٩٥٢ أن طلب من الهند أن تبدى رأيها فى منظمة

الدفاع عن الشرق الاوسط فأعلنت عن معارضتها لفكرة هذه المنظمة. وازدادت محاولات الغرب ، وازدادت أيضا معارضة الهند . كما عارض كل مواطن هندى حلف جنوبى شرقى آسيا ، وثبت عقم هذا الحلف بفضل موقف الهند الحازم . والذى حدث أنه حينما ظهرت فى الافق فكرة حلف بغداد ، كانت آسيا منقسمة الى فريقين . كان هناك أذناب الغرب الذين عقدوا النيـــة على الاستسلام . وكانت هناك ، فى الجانب الآخر ، الدول الغير المنحـــازة الذى قررت أن تصد العدوان وتصون حريتها .

اخوة فى باندونج

ويجب أن نتذكر أن ظهور فكرة حلف بغداد لم تكن نتيجة لنجاح حلف جنوبى شرقى آسيا وانما كانت نتيجة لفشل هــذا الحلف . والآن أصبح للهند وللدول العربية الناهضة أساسا مشتركا تحارب من أجله . لقد حققت محاولات الغرب فى ميدان الاحلاف انتصارات مرموقة لشعوب آسيا : **فلقد اتحدت الشعوب هناك لتواجه الخطر المشترك** . ومن هذه الوحدة خرج مؤتمر باندونج ، وهناك اكتشفت مصر ، والهند ، وسورية ، واندونيسيا ، والعربيـــة السعودية ، وبورما تشابها فى وجهـــات النظر فيما يتعلق بمعظم المســـائل الدولية .

وفى أوائل عام ١٩٥٥ بدأت المرحلة الحالية من مراحل التعـاون بين الهند والعرب ، فلقد جـوبه العرب بمنظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، كما جوبهت الهند من قبل – عام ١٩٥٢ – بحلف جنوبى شرقى آسيا . وفى ١٦ فبراير صدر بيان مشترك لنهرو وجمـال عبد الناصر وفى هذا البيان ذكر الزعيمان بأن محادثاتهما دلت « على وجود تشابه فى وجهات النظر فيما يتعلق بكبريات المســـائل الدوليـــة » . **وعبر الزعيمان عن ايمانهمـا بانه يجب بذل جميع**

المحاولات للحيلولة دون نشوب حرب عالمية أخرى ، واتفقا على أن الاحلاف العسكرية والارتباطات بالكتل الكبرى لن تحمى أى بلد ، وانما تزيد من حدة التوتر وتشعل نار المنافسة من أجل التسلح .

وزاد من تدعيم هذه المشاركة فى الآراء وصول الرئيس جمال عبد الناصر الى نيودلهى — فى اشهر ابريل — وهو فى طريقه الى باندونج . وتحدث الى جمع حاشد قائلا : « ان بلدينا اللذين يعملان معا هما مثلا رائعا على التعاون المثمر ، مثلا يجدر بدول العالم أن تحتذيه . فلننتهز هذه الفرصة الفريدة ولا نجعلها تفلت من أيدينا . وقبيل ذلك ، وفى السادس من شهر ابريل ، ازدادت أواصر هذا التعاون بتوقيع معاهدة الصداقة فى القاهرة . وعبرت باندونج بدورها عن ذلك التعاون بين الهند ومصر ، وهناك هزم أعوان الاستعمار ازاء الموقف المشترك الذى وقفته الاقطار الغير المتحالفة .

ولا يكف جمال عبد الناصر نفسه عن الثناء على باندونج ودلهى وبفضلهما استلهم قراره الخاص بدور العرب فى الميدان الدولى . وقال جمال عبد الناصر لدوان بيرنيدرانات المراسل الصحفى : «لقد كانت زيارتى للهند نقطة تحول فى نظرتى السياسية . لقد تعلمت، وتأكدت أن السياسة التى تلائمنا دون غيرها هى سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز . وعندما عدت الى وطنى ولمست رد الفعل ازاء هذه السياسة اكتشفت أنها السياسة الوحيدة التى يمكن أن تستحوذ على رضى أكبر عدد ممكن من شعوب العرب » .

وعندما نجح مؤتمر باندونج ازدادت محاولات الغرب للسيطرة على الشعب العربى عن طريق حلف بغداد . ومنذ ذلك الحين صارت مصر ، وسورية ، نواة لمنطقة يسودها السلام فى الشرق العربى . وانعكست هذه النظرة فى البيان المشترك الذى أذاعه ناصر ونهرو فى ١٢ يوليو بالقاهرة ، كان هذا البيان أكثر ايجابية ، وأكثر حيوية ، وأغزر فى معناه من البيان السابق الذى أذاعه الرئيسان

منذ ستة أشهر . ومن بين ما جاء فى هذا البيان اعتقادهما « بأن الارتباط بالاحلاف العسكرية ، والانحياز الى صفوف الدول الكبرى لا يخدم قضية السلام ، وكثيرا ما يؤدى الى العكس ... ومن الاهمية بمكان نزع السلاح ، وحظر انتاج الاسلحة النووية واستخدامها ... ويقدر الرئيسان أهمية توثيق العلاقات بين البلدين والتشاور فى المسائل الهامة ذات الطابع الدولى ، وكذلك المسائل التى تهم البلدين . وسيعملان على صيانة هذه الروابط والتشاور كلما أمكن ذلك » .

ولم يقتصر هذا التعاون ، وتلك النظرة المشتركة على الهند ومصر وحدهما . ذلك لانه فى نهاية سنة ١٩٥٥ قام الملك سعود بزيارة الهند وصدر بيان مشترك لسعود ونهرو فى نهاية الزيارة ، وأعلنا فيها « احترام الدولتين للمبادىء الخمسة : احترام السيادة والاستقلال الاقليمى - عدم الاعتداء - عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلدان الاخرى - الاحترام المشترك ، والمساواة ، والتعايش السلمى ، وترى الدولتان أن هذه المبادىء وحدها هى التى تخلق أساسا راسخا للعيش بين شعوب العالم فى ظل السلام والتعاون » .

وظهرت رابطة جديدة بين سورية والهند أيضا ، وبهذا أصبحت تلك الجمهورية الصغيرة من أروع حلفائنا فى الشرق العربى وأدعاهم الى الثقة . وعندما قام المؤلف بزيارة دمشق فى العام الماضى فوجىء بأطفال أطلق عليهم آباؤهم أسماء نهرو وابنته أنديرا ، فلقد قدر هؤلاء الآباء موقف الهند المدافع عن العرب .

عدوان من الغرب

وازاء هذا التعاون المتزايد بين الهند والعالم العربى ، حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا توجيه ضربة قاصمة الى مصر

بسحب تمويل مشروع السد العالى ، وانتقمت مصر لنفسها فأممت شركة قناة السويس ، كان الامر يهم الهند بصـورة ما . واذا كان المستر دالاس راغبا فى تلقين درس لأصحاب الحيـاد بعد مؤتمـر بريونى فان الهند ، باعتبارها طرفا ثالثا فى هذا المؤتمر ، لا يمكن أن تقف مكتوفة الايدى وهى تشهد هذه المعركة . كان من الطبيعى اذن أن تؤيد الهند حق مصر فى تأميم القناة وأن تميط اللثام عمـا يكمن وراء هذه الازمة .

وفى الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٥٦ أعلن نهـرو : « اننى لا شك فاشل فى أداء واجبى أمام هذا المجلس ، وأمام وطنى ، بل وأمام جميع الاطراف التى اشتركت فى الازمة اذا أبيت أن أصرح بأن التلويح بالقوة وباستخدام القوة لحل هـــذا النزاع أو فرض آراء الاطراف القوية انما هو تصرف خاطىء . وهو تصرف لا ينتسب الى جيلنا هذا ، ولا يمليه العقل . وهو يتجاهل صـورة عالم اليوم ، صورة آسيا اليوم » . كما أوضح أن تأميم شركة قناة السويس اجراء سليم من الناحية القانونية وانه جاء نتيجة لسحب مشروع التمويل فجأة . ووافقت الهند عن موقف مصر بشجاعة فى مؤتمر لنـــدن الاول ، ولم تشترك فى بعثة منزيس . وعندما أعلن نبـــأ تكوين هيئة المنتفعين وصف نهرو موقف بريطانيا فى لهجة حادة وطالب بحل النزاع بطريقة وذية سلمية . وحين هوجمت مصر ندد نهرو بهذا العدوان السافر الذى لم يسبق له أن رأى مثله ، ولعبت الهنـد دورا كبيرا فى ســبيل اعادة السلام الى ربوع المنطقة . وفقـدت بريطانيا قسطا كبيرا من هيبتها الادبية بين صفوف شـعبها لأن الهند ، شريكتها فى الكومنولث ، قد نددت بها ، وهكذا عجل هذا التنديد ، وفقدان الهيبة ، بانهاء الحرب .

كانت معارضة الهند انعكاسا لموقف الكتلة الافريقية الآسـيوية من هذا العدوان الانجلو فرنسى . وهكذا أثبتت الروابط الافريقية

الآسيوية أنها أقوى من روابط الكومنولث . فليس من الغريب اذن أن يرحب جمال عبد الناصر بالهنـــد حين عرضت بعض فرقهـــا للانضمام الى البوليس الدولى .

وعندما تعرضت سورية للازمة، وقفت الهند موقفا مماثلا وقال المستر نهرو فى مؤتمر صحفى (٢١ اكتوبر) : « ان القول بأن سورية أو أى قطر عربى آخر ، بلد شيوعى هو قول مبالغ فيه » وأيدت الهند موقف سورية تأييدا كاملا فى الامم المتحدة .

وكان نهرو قد زار سورية فى أوائل ذلك العام وحيـاه الشعب السورى ، وزعماؤه بحرارة ، وسبق لشكرى القوتلى وصلاح الدين البيطار أن قاما بزيارة الهند وأكدا روابط الصداقة التى تربط بين البلدين . وفى ٢١ يناير عام ١٩٥٧ صدر بيان هندى سورى مشترك جاء فيه :

« يجب تشجيع القوى الناهضـــة التى تعمل من أجل الحـــرية والاستقرار ، والتى تريد أن تحقق المطامح القومية لشعوب الشرق الاوسط ، وذلك لكى تقضى هذه القوى على الانقسامات والخلافات .. ان معالجة مشاكل المنطقة بالقوة سيضاعف من الانشقاق وعـدم الاستقرار ، وعلاوة على ذلك سيزيد من حدة التوتر ويهدد الســلام العالمى ... لقد خلق حلف بغداد خلافات وانقسامات مريرة فى العالم العربى كما أنه ضاعف من حدة التوتر الدولى . وفى مقدور سياسة عدم الانحياز التى يسير عليها البلدان أن تساهم فى اقرار السلام والوئام وأن تحقق مبادىء باندونج » .

وفى ظل هذا المبدأ ، مبدأ النضـال المشترك من أجل اقـــرار السلام ، عارضت الهند مشروع ايزنهاور . وقال نهرو أن أى فراغ فى غربى آسيا يجب أن تملأه بلدان هذه المنطقة بقوتها وتقدمها . وأضاف أن أى محاولة من جانب أى دولة أجنبية لملء هذا الفراغ انما تهدد خطر العالم .

اتساع آفاق الحرية

وهكذا رحبت الهند أبلغ ترحيب بنبأ تآليف الجمهورية العربيـة المتحدة ان أمة متحدة هى التى تستطيع أن تملأ الفراغ فى الشرق
المتحدة ان أمة متحدة هى التى تستطيع أن تملأ الفراغ فى الشرق
العربى ، اذا كان هناك فراغ حقا ، وفى استطاعة هذه الامة المتحدة أيضا أن تضمن ارتباط الشعب العربى بالقوى المحبة للسلام والرقى . ان الهند ترحب بهذه الجمهورية التى تدعم منطقة السلام ، وترحب بها أيضا لانها تعمل على توسيع رقعة الحرية .



دار القاهرة للطباعة
٣٦ شارع منصور ـ ت ٣٠٨٠١/٣٠٨٢٤

مجموعة عربية ١٠٠٪
تبحث فى مشاكل الساعة الدولية
السياسية والاجتماعية والاقتصادية
من وجهة النظر العربية
تصدرها لجنة

كتب سياسية

صدر من هذه المجموعة سبعون كتابا

الكتاب الحادى والسبعون : **مصر الفتية**

الكتاب الثانى والسبعون : **بناء المجتمع الجديد**

الكتاب الثالث والسبعون : **سقوط حلف بغداد**

الكتاب الرابع والسبعون : **الثورة الاجتماعية**

الكتاب الخامس والسبعون : **قضايا عالمية**

الكتاب السادس والسبعون : **الصهيونى العالمى**

الكتاب السابع والسبعون : **الذرة فى المحيط الدولى**

الكتاب الثامن والسبعون : **الفجر العربى (الجزء الاول)**

الكتاب الثامن والسبعون : **الفجر العربى (الجزء الثانى)**

الثمن ٣ قروش

دار القاهرة للطباعة